# الثعالبي

## انطباعاتي عنه في فلسطين

بقلم عجاج نويهض

* * *

الكلمة الرقيقة التي قالها الاخ الكريم الغالي الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، عنوان النبل والفضل ، المتضوع عرفه في كل واد ومصر وجبل وسهل ، ممزوجة الروح النقية بمثلها من الاخ الحبيب « الحبيب شيبوب » المنشورة في الصفحة ( ٥٠ ) من « الاديب » ( يوليو ١٩٧٤ ) طارت واستقرت على « راسي وعيني » ، فتلقيتها ايحاء ملبى مطاعا ، وبضاعتي ابدا نزرة قليلة ، فاستعنت بما استمددت من الاخين الموحيين ، ومن روحانية الولي النضير ، المبلغ رسالته ، والمؤدي امانته للامة العربية الاسلامية ، العربي المسلم الكبير ، الذي كنت كلما حادثته مستقيا منه ، او مستمعا اليه ، رقصت روحي طربا ، اذ كنت اخال نفسي اني ارى فيه « شخصية » ابن خلدون في روائع اجنحته ، ومتناوح رياح فلسفته ، وعمق نظراته ، وخلقه السمح ونفسه الرضية ، « عبد العزيز الثعالبي » طيب الله ثراه ، واجزل بركاته تعالى علينا من اجل ذكراه ، وتغمده برضوانه في فراديس جنانه .

واني قبل ان ادخل في الكلام عن اقدس الاسماء التي يعيها قلبي منذ احدى وخمسين سنة ، في بيت المقدس التي لا بد ان تعود الى الاسلام والمسيحية ، « ولا بد من صنعا ولو طال السفر » أود ان اعرب عن خالص شكري للاستاذين محمد عبد الغني حسن والحبيب شيبوب على ما اولياني من حسن ظن عساني ان اكون عنده ، وشكري للاستاذ الاخ الكريم « البير » صاحب هذه المجلة التي علا بساطها ، وامتد رواقها ، واصبحت، والحمد لله ، حقا بريد العرب في بسيط الارض الضادية، اسيويا وافريقيا ومهجرا ، واعتقد ان افاضل العرب الذين يهمهم اسهام الامة العربية في الحضارة الحالية المعقدة ، اللينة الملامس ، الخشنة الهواجس ، هم كلمة واحدة وشعور واحد في عاطفة الشكر لهذا العربي المؤمن ، الواقف نفسه وحياته ، وعلمه وادبه ، لخدمة التراث العربي ، هذه الخدمة التي لم تبلغها مجلة سابقة في صفاء الروح ، وبعد المدى ، وبراءة النذر ، الاستاذ البير ، اخذ الله بيده ، انضر الله من « اديبه » اوراقا ، وزاد في آفاقه آفاقا .

وشيء اخر ايضا ، احب تقرير في البداية ، فان حسن حظ فلسطين ( ولا اقول « الارض المحتلة » ولا « اسرائيل » بل هي « فلسطين » الحبيبة الى يوم الدين ) من الثعالبي واستمتاعها ببركاته ردحا من الزمن ، هو كناية عن الزيارات التي قضاها في فلسطين ابتداء ، كما اذكر ، من سنة ١٩٢٣ الى قبيل الحرب العالمية الثانية ولا اعني بالزيارات غير الاشهر والمواسم ولاسيما سنة ١٩٣١ و ١٩٣٢ ان حسن حظ فلسطين من الثعالبي يعود الفضل فيه كله ، الى صفيه وصديقه سماحة المفتي ــ مفتي فلسطين ــ الحاج محمد امين الحسيني ، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى (١) ولا استطيع التوسع في هذه الناحية المهمة هنا ، وارجو ان اتمكن بعون الله وتوفيقه ، من عقد فصل قائم براسه عن المناحي الاسلامية التي كان سماحة المفتي الاكبر ينتحيها ، وهو رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، كل حياته في هذا المجلس الى سنة مغادرته فلسطين خريف ١٩٣٧ اضطرارا .

ولكني استطيع ان اذكر هنا اقتضابا لا اسهابا ، انه يندرج مع الثعالبي في هذا السلك وعلى هذا المنوال كل من السيد ضياء الدين الطباطبائي ، رئيس وزراء ايران بعيد الحرب الثانية ، واحمد زكي باشا « شيخ العروبة »، ومحمد علي علوبه باشا وزير الاوقاف في مصر ، الى غيرهم من الرجالات والسادة الاساطين الذين انشئت الروابط بينهم وبين فلسطين على يد السيد الحسيني ولا ننسى ان دفن مولانا محمد علي الزعيم الهندي بجوار المسجد الاقصى ، المتوفى في لندن في اثناء انعقاد المؤتمر البريطاني الهندي المعروف بمؤتمر « المائدة المستديرة » ١٩٣١ ، فكرة اتجه اليها واعتصم بها ونفذها السيد الحسيني في مدى نصف ساعة وفورا ابرق الى مولانا شوكت علي في لندن يقترح عليه ذلك ــ وهذه الفكرة العبقرية الجليلة هي من جنس ما تقدم في النهاية . قلت : هؤلاء دفنوا بجوار المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله :

الملك الحسين بن علي .

مولانا محمد علي الزعيم الهندي

شيخ قضية فلسطين موسى كاظم باشا الحسيني . ابن شيخ القضية الشهيد عبد القادر الحسيني (٢) .

---

( ١ ) وصلنا هذا المقال قبل وفاة سماحة الحاج امين الحسيني رحمه الله . ( الاديب )

( ٢ ) بينما العرب في الحرم القدسي الشريف جماهير متراصة لا تحصى ولا تعد ، تموج موجا ، وساحة الحرم خمس مساحة المدينة، في السير بموكب جثمان الشهيد عبد القادر الى مثواه جارا لابيه بجوار المسجد الاقصى ، جاءت الصرخة ان اليهود اعصوصبوا وهاجموا فكانت الصرخة هذه داعية لكل مناضل في الموكب ان يطير الى المعركة بسلاحه فورا وبعد قليل كانت فظائع «دير ياسين» الوحشية الصهيونية.

النقطة الجوهرية التي علي ان ابسطها في هـــذا الموضع ، واحب ان يتفضل القارىء بأن يرافقني من سنة ١٩٢٣ فصاعدا ، هي : الى هذه السنة كانت الدولتـان بريطانيا وفرنسا قد ربضتا في سوريا ولبنان والعـراق وشمـال افريقيا ربضة الذئب وعينه على غنم العرب . وكانت استقرت حدود تركيا الجديدة استقرارها النهائي بمعاهدة لوزان ، وكان مصطفى كمال في طريقه الى عصر الخلافة ثم خنقها وانهاء كيانها في تركيا ، ولا اقــول الغائها . وكان العالم الاسلامي شديد الغليان ، يتململ ويتحسس السلاح للثورة ، وكانت مصر متنمرة علـى الانكليز وقد انتهت ثورتها ، وثورة العراق انتهت بتلقين الانكليز درسا كلفهم ستين الف قتيل في البطائح المحرقة، واشترك في هذا سلاحان : سلاح الثائر العربي العراقي ببندقيته التي لا تخطىء ، والشمس التي تذيب الضب الانكليزي وقد ذاب في العراق وانتهى امره . وكانت الاوضاع فـي الشمال الافريقي تئن من جور فرنسا ( ٣ ) ، وبالتالـي كانت فلسطين صار لها منذ احتلال اللنبي القدس ١٩١٧ ست سنين وهي تكتوي بنار اليهود الخبيثة ، تحميهـا الحراب البريطانية ، وكان المندوب السامي الاول هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني ( ٤ ) الذي خلف الحكومـة العسكرية في تموز ١٩٢٠ قـد وزع الاسلحـة علـى المستعمرات اليهودية بحجة انهم ينبغي لليهود ان يكونوا مسلحين ليدافعوا عن انفسهم من هجمات العرب . هذه هي فلسطين ١٩٢٣ !

على اول الطريق الى الاتون !

وكان قد وقع ثورات ، مرة في موسم النبي موسى ١٩٢٠ ( ٥ ) ومرة في يافا ، ومرة في القدس شهدتهـا بعيني ، واقتصرت على تصادم قليل .

في هذه الحقبة ، اطل كوكب الثعالبي من الغرب ، واظن انه جاء من مصر ( ٦ ) ومصر وقتها نارها تحـت الرماد بعد الثورة . وكنت اسمع بالزعيم الثعالبي ولكني لم اره ولم تقع عليه عيني بعد . وكان علمي به عن طريق ما يردد ذكره احيانا في الصحف ، لا اكثر . غير اني كنت اعلم انه صديق الامير شكيب ، لان المبادىء العليا تجمع بينهما ، وهما مع عديد الزعماء امثالهما في الاقطار المنسلخة عن المملكة العثمانيـة بنتيجة الحـرب الاولى ، راحـوا يتفكرون ليل نهار ، ويتناجون اذا جمعهم مكـان ، او يتراسلون سرا اذا لم يكن من سبيل الا البريد الـذي يمتلكه الاجنبي ، كل هذا في سبيل مستقبل العـرب عربيا ، ومستقبل الاسلام اسلاميا . وكانت الهند بعيد الحرب قامت بقسطها من الثورة الجامحة على الانكليز ، وكان وقتها « الاخوان » الزعيمان الكبيران مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي هما الجائلين في الميدان وفـي مقدمته ، وكانت شركات الانباء البرقية ، ووقتها لا يوجد الا شركتان هما « روتر هافاس » تذكرانهمـا باسـم « اخوان علي » . ولتمام المعنى نقـول ان الهنـد فـي تلك الايام كانت غضبى على الانكليز من جهة هزيمة تركيا في الحرب الاولى ، فتألفت في الهند حركة اسلاميـة عنيفة لنصرة مصطفى كمال في ضربه اليونان عهـد فنزيلوس ، واليونان كانت مهوسة على مصطفى كمال من لويد جورج ، وكان يرجو اخواننا المسلمون فـي الهنـد ان الخلافة بعد الحرب الى انتعاش وارتياش ، فخيـب مصطفى كمال كل الآمال فلما اخذت فلسطين تبـدو انها مسوقة بسيف جزار خائن الى اليهود ، تحول نشـاط مسلمي الهند الى نصرة فلسطين (٨) تحولا تاما ، وجعل اخواننا المقاميم في الهند يفكرون في اقامة خلافة اسلامية في الحجاز تعوض عن الخلافة العثمانية التي ذهب بهـا مصطفى كمال . ولما عقد المؤتمر في مكة المكرمة سنـة ١٩٢٥ كان « الاخوان علي » على رأس الوفد المدعو «بوفد لجنـة الخلافة » يتحسس الامور بصمت، والاسد الرئبال

---

( ٣ ) وصف الحال في «الشمال الافريقي» حسب الاصطـلاح في ذلك الوقت ، يحتاج الى فصل على حدة ، لان استعمار فرنسـا يختلف عن استعمار بريطانيا وان كان ينطبق على الاثنتين قول اللـه تعالى « كلما دخلت امة لعنت اختها » .

( ٤ ) صموئيل هذا رشحه « حكماء صهيون » او «مجلـس السنهدرين » ليكون اول مندوب سام على فلسطين ولقبه الماكر تشرشل بالصهيوني القح ولقبه اليهود « بامير اسرائيل الاول » وهو كان ينتمي الى « حزب الاحرار » وهو معدود ، بشهادة بعض كتاب الانكليز ، انه من رجال « حكماء صهيون ».

( ٥ ) كان محركها ومدبر امرها سماحة المفتي الاكبر . ولكـن وقتها ١٩٢٠ لم يكن قد تولى الافتاء ولا كان المجلس الاسلامي الاعلـى قد انشىء ، اما منصب الافتاء فكان وقتها لاخيه الشيخ كامل الحسيني وقد توفي بعد قليل وكان رحمه الله كاملا جريئا مقداما .

( ٦ ) ارجو من القارىء الذي نشأ في مدة « ما بين الحربـيـن » ان يعلم بايجازان مصر منذ ١٩١٩ ـ ١٩٢٧ بمقادة سعد زغلول الكاملة.

( ٧ ) الى سنوات عديدة بعد فرض الانتداب ، كانت تقع امـور عجيبة في مراقبة بريد الزعماء العاملين في الاقطار العربية كلـهـا . و «الاقطار العربية » شبه اصطلاح اخذ يسري ويجري بعد الحـرب الاولى على الالسنة والاقلام ثم نسخه اسم « البلاد العربية » ثـم « الامة العربية » ثم « العالم العربي ».

( ٨ ) هذه امور مهمة جدا برأينا : فان اول تعاطف بين الهند وفلسطين ، كان تجاوب الهند مع نداء سماحة المفتي رئيس المجلـس الاسلامي الاعلى الى العالم الاسلامي ان يناصروا مشروع اصـلاح المسجد الاقصى المبارك بالتبرع بالمال ، وارسل سماحته وفدا الـى الهند لهذه الغاية وعاد الوفد موفقا ، وصار البريد يروح ويجـيء بين سماحته وزعماء الهند وفي طليعتهم مولانا شوكت علي واخـوه مولانا محمد علي . ثم التقى سماحته « بالاخوين » وزعماء الهنـد في اول مؤتمر اسلامي كبير على نطاق عالمي دعا اليه الملك عبد العزيـز آل سعود اثر استيلائه على الحجاز ١٩٢٥ فازدادت الروابط والعـرى حتى عقد سماحته المؤتمر الاسلامي الكبير في القدس ١٩٣١-٣٢ وحضره شاعر الاسلام محمد اقبال ومولانا شوكت علي وحفيد الشيخ شامـل الداغستاني ووفود مسلمي جنوبي اوروبا وقلق الملك فؤاد قلقا كبيرا.

عبد العزيز يرقب هذا النبض ، فلم يكن هناك من تجاور بين فكرة « الخلافة » المضمرة في نفوس وفد الخلافة ، وبين « الفكرة الاسلامية » القائمة في ذهن الملك عبد العزيز ، بعد استيلائه على البقاع المباركة . بل من اجل التباين بين الفكرتين ، وقع شبه جفاء بين عبد العزيز الملك المؤيد ، واخوان علي الذائبين شوقا الى مستقبل الاسلام .

هذه مراحل العالم الاسلامي ، لما حل الزعيم الفيلسوف ، المشبع بكل علوم ابن خلدون ، وهذا ابن تونس بالامس ، وهذا ابن تونس اليوم . وعلي ان ابين اني لولا وجودي في المجلس الاسلامي الاعلى اعمل فيه تحت جناح سماحة رئيسه ومفتي فلسطين السيد الحلاحل سماحة الحسيني امد الله بعمره ، لما اسعدت بأن ارى نفسي في هذه الواحة ، وبالخير والبركات نضاحة ، واقتبس النور من السيد الثعالبي .

بدنه وافر العمران ، والبدانة . فمن يراه لاول ما يراه ، يحسبه ثقيل الحركة الرياضية في التنقل والمشي. فضخامة جسمه هي من الخلقة على قدر كبير .

ما رأيته في القدس الا بلباسه الاسود ، معتمرا الطربوش الواسع القاعدة ليجيء مالئا جوانب راسه . والطربوش لين ( لا قش فيه ) .

وجه الثعالبي يوزع على امة من الناس ناسوتا جذابا ، وهذا الناسوت يجعلك تؤمن بان النفوس الخيرة المفطورة على غر السجايا والشمائل ، انما تضيء عن طريق المحيا ، الباسم ،الضاحك يسبح في الهدوءوالسكينة. لا يسرع في كلامه ، وانما لكلامه صراع ، هي من الحق الذي يحركه . وقد يغضب ، غضب الناصر للحق متى ما واجه باطلا . لو بقي يتكلم ساعة ، فكأنه من حيث نشاط عقله وجنانه لم يزل في البداية . طبعا لهجته « مغربية » ، كما نقول ، غير ان اللهجة المغربية هذه اراها ضربا من الموسيقى والتواشيح الاندلسية . جميل العبارة في العربية ، نقي اللسان ، لا يستعصي عليه تعبير في اي باب من ابواب الكلام . لا يتكلم الا وحرارة الايمان تبعث في نفسه نشاطا يبدو في عينيه الواسعتين، ويستعمل الاشارات بيده ، ولكن كعصا « المايسترو » في قيادة الجوقة . اذا سألته سؤالا ، اصغى اليك واقبل عليك ، بغاية المشاركة وحب تبادل الاراء . كل هذا في نظري من صفات الرجل الحكيم الفيلسوف الناضج .

واحب ان انبه على شيء في الثعالبي هو الغالب عليه في حديثه ، وحديثه رشح عقله وتفكيره : مستنده الاول والاخير في الحديث والنقاش والمباحثة : هو الادلة العقلية الفلسفية . والرجل العادي اذا سمعه ،طرب له لما يدهشه منه سلاسة هذه المعاني المبسطة ، المسوقة بانسجام ، الواضحة وعلى وجه نير لا يحتمل التأويل . والرجل المثقف ، والثقافة مراتب ودرجات ومستويات ، يظل يعلو بثقافته في الاستيعاب من الثعالبي ، حتى يصل الى الافق العالي حيث لا بد من محطات استراحة معه . وهذا اهم ما شاهدته فيه ، وهو يفسر نقاطا من التاريخ الاسلامي .

اذا احب العالم او الفيلسوف ، ان يطرح من علمه وفلسفته على الخلق ليفيدهم ، وفاء بامانة العلم ، وهذا في الشريعة الاسلامية شرط ، وهبه الله نعمة الاجادة السليقية الطبيعية في الحديث الطيب الجاذب للقلب قبل الاذن . كان الثعالبي هذا العالم والفيلسوف الموهوب ، واول محدث على منوال الفلسفة المستساغة سمعته في فلسطين . واليك هذه القصة :

دعاه صديقه الحميم سماحة السيد الحسيني رئيس المجلس ان يلقي على صفوة الجمهور ورهط من الاساتذة ومحبي الاستفادة محاضرة في « كلية روضة المعارف » الذي مكانها الجزء الشمالي من الابنية الضخمة حول الحرم ، وبين الكلية ودواوين المجلس اقل من ضربة حجر ، لان كل هذه المباني ملاصق بعضها بعضا ، وعلى علو شاهق ، ومعظمها من عصر صلاح الدين والمماليك، تحيط بالمسجد الاقصى وقبة الصخرة احاطة السوار بالمعصم ، وسبق لي القول ان مساحة الحرم كله خمس مساحة القدس التي داخل السور وكان هذا في اول سنة من سني حلول الثعالبي بالقدس واحسبه ١٩٢٣ .

فاحتشد الناس في القاعة الكبرى من « كلية الروضة » (٩) وهم شوق الى الثعالبي . فارتقى المنبر بقامته البدينة ولباسه الاسود اللبق ، وطربوشه الانيق، وبصدره الواسع الرحب .

وكان موضوعه وصف الفتوح الاولى في شمال افريقيا ، وشرح مزايا القادة العرب المسلمين ، على ما اذكر ، وهذا الموضوع جد دقيق ويحتاج الى استاذية عميقة . ولكنه تناول عقبة بن نافع ، الفاتح المشهور تناولا خاصا وباسهاب فتان ، حتى اتى على حسن اسلوب عقبة في تحويل الدينار الرومي الى دينار عربي ، وفي جعل الدولة العربية موطدة الاركان في القيروان وغيرها. ومن جهتي فاني كنت لاول مرة اسمع خطيبا مؤرخا مسلما فيلسوفا ، ينتحي هذه المناحي الشريفة في محاضرته ، اذ المدارس التي تخرجت منها في لبنان

---

( ٩ ) علي ان اسرح الامور المرتبط بعضها ببعض : ان « كلية الروضة » هذه وقد اشرت اليها في مقالي عن العلامة الشيخ نديم الملاح رحمه الله ، ( في عدد دسمبر ١٩٧٣ ) هي و« كلية النجاح » في نابلس الكليتان اللتان كان يرعاهما سماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى السيد الحسيني ويسندهما الى المدى البعيد . فكانتا في مدة ما بين الحربين هما الكليتين اللتين خرج منهما الجيل العربي الجديد في فلسطين ومنهم مناضلون وشهداء في الثورات الوطنية . نذكر هذا لان حقائق الحياة في فلسطين غشت عليها موجات مشبوهة فنلفت الانتباه الى هذا .

« تبشيرية » لا تعنى بالتاريخ الاسلامي ابد . فخرجت **بعد انتهاء المحاضرة مدهوشا مسحورا** ، وتألبت مع المتألبين ، حول الاستاذ الاكبر ، **نطوف** من حوله بالشكر ما وسعنا الطواف والشكر . **ولا انسى ابتساماته الحلوة** ووجهه البسام الضاحك ، **وروحانيته البريئة** . وفي تلك الليلة ، كما اذكر ، كتبت الى الامير شكيب رسالة **طويتها على ما شاهدنا من روائع الثعالبي في** « كلية الروضة » ، فأتاني جواب بعد نحو من اسبوعين من الامير يقول لي فيه أن اذهب الى صديقه المكين ، النزل بفلسطين ، و بلغه السلام واما بشأن وصفي للامير ارواح المعاني السامية في المحاضرة فقد قال لي ان الثعالبي بحر لا ساحل له .

وكان يخرج هو والسيد الحسيني الى ريف فلسطين ، ليشاهد **طبيعة البلاد وطبائع اهلها واخلاقهم** ، وهم عرب جرى تعديل في توزعهم في البلاد بفعل الحروب الصليبية ثم **استقروا في اماكنهم هذه** ، **ولاسيما** القبائل الجنوبية ، حتى اليوم . **وكان يحضر المواسم** والاعياد التي تقع في اثناء وجوده في فلسطين .

**كان الثعالبي يحب الرحلة** والسياحة ، لا لمجرد **مشاهدة البلاد والعباد واختبار** اهوية الاقاليم ودرس الشعوب والامم . بل كان جل قصده دراسة احوال العالم الاسلامي على اختلاف لغاته والسنته . فدرس ايران والهند وبلاد الخليج في ذلك الوقت ، واقام في العراق ردحا كبيرا من الزمن ، **وأظن انه كان استاذا يوما في** جامعة آل البيت . **ومن هذه الناحية** ، اي حب السياحة والدراسة ، فهو وعبد الرحمن الكواكبي فلقتا حبة واحدة .

وسألته مرة او اكثر من مرة عن مدونته التي يسجل فيها انطباعات السياحة فاعلمني انه حفي بها حريص عليها ، ولا يعقل الا هذا ، اذ كيف يطوف هذا الفيلسوف **الرحالة ارجاء العالم الاسلامي في مدة ما بين الحربين** ولا تكون مدونة انطباعاته هي كشكوله وخير زاده . اما مصير هذا ، فلا ادري منه في النهاية شيئا .

في سنة ١٩٣١ — ٣٢ عقد السيد الحسيني **المؤتمر** الاسلامي الذي المعت اليه قبلا . **وهذا المؤتمر يمثل مرحلة** خطيرة في طريق مصير فلسطين . **حضرته وفود العالم** الاسلامي ، ومن ضمنه العالم العربي ، **وارتعب منه** اليهود فصنعوا مكيدة شيطانية الحبك ، وجعلوها امام **الملك فؤاد** ، في مصر بحذق وان هناك مسعى « **للخلافة** » ، فاضطرب **الملك فؤاد واختبط** ، **ووقعت وقتها امور** ومشكلات مما اضطر السيد الحسيني ان يذهب الى القاهرة ويبدد هذا الاهام ، وكان رجل الملك في تلك الاونة « صدقي باشا » . **ولكن المؤتمر عقد وكان موفقا** وابطل سحر الساحرين ، **وانتصر الحق وزهق الباطل** . ووقتها ولاول مرة منذ قرون معلومة التاريخ ، صلى بالمسلمين في المسجد الاقصى الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فقالت «التيمس» لضيقة العطن : شهد **العالم كله في المؤتمر الاسلامي** في القدس ، المؤتمر الذي دعا اليه مفتي فلسطين الاكبر ورئيس مجلسه الاسلامي الاعلى ، اجتماع جناحي الاسلام ، سنيا وشيعيا ، في **المسجد الاقصى لاول مرة** ، اذ صلى باعضاء المؤتمر وسائر الناس ، الامام آل كاشف الغطاء ، اماما .

**لا يظن اخي القارىء الكريم ، اين يكون موطنه ، في** بقاع العروبة والاسلام ، وانا اضع بين يديه **هذا السجل** العزيز علي وغليه ، ان الكلام عن الثعالبي من معظم مناحيه ، وهو كالجسم الموشور يضيء من جهات عديدة ، هو شيء كثير السهولة . كلا . **فعلي ان اميز بين جهة** واخرى ، **هذا اولا** ، وان اوثر الايجاز ، **فاذا اتبعته** ، وقع **الاخلال** ، وهذا ثانيا ، والان اتكلم عن الفيلسوف الثعالبي ونشاطه الذهني ، **في ما يتعلق بالمؤتمر الاسلامي**، ولعل هذا النشاط يمثل **اوسع موجة من تفكيره المثمر** ، وعقله الفتاق المبدع ، **واضعا كل قطعة من المعنى في** فقرة .

**كان الثعالبي في القدس قبل عقد المؤتمر بوقت** ليس بالقليل . وفي اثناء **هذا الوقت كانت الفرصة كافية** ليتدارس الصديقان ، الحسيني والثعالبي ، **كل نقطة من** نقاط نظام المؤتمر الذي **هو الاساس** . **وكان اسعاف** النشاشيبي ، وكان يعرف « **باديب فلسطين** » **صديق** الصديقين ، يعيش برفاهية ، **وفي صدره حب لكل ما** يحبه الصديقان ، واسعاف له قصره على سفح جبل الطور ، غير متزوج . **واتفق الامر على ان يتولى الثعالبي** وضع نظام المؤتمر ويتم اعداده وتهيئته **وطبعه قبل عقد** المؤتمر . فكنت سعيدا **بان اصحبه الى منزل اسعاف** ، بايعاز سماحة المفتي **ونعمل هناك الجلسات الطويلة** ، ونتغدى ، ثم نعود الى العمل . **فكان الثعالبي يأتي الى** الجلسة وهو دارس الفكرة ، وقد محصها وهيأ قالبها ، فيملي علي بحضور اسعاف ، صيغ المواد واحدة ، بعد اخرى . وهكذا جلسة بعد اخرى حتى اكتمل « النظام » بجميع مواده ومناحيه . وكنت اعجب حقا من اتساع افقه ، والخبرة الكافية في تأليف المؤتمرات ، وحياطتها بنظام محكم . ولما انتهى هذا قدمه الى سماحة المفتي رئيس المجلس ، **فالنظام الذي قدمه الى المؤتمر سنة** ١٩٣١ — ٣٢ هو من عمل الثعالبي في منزل اسعاف النشاشيبي على ما تقدم وصفه .

هذا المؤتمر هبت حوله عواصف كثيرة ، **ذللها السيد** الحسيني تذليلا تاما ، وهذا من اقوى دلائل العزم فيه ، **وهو يخوض معمعانا يكافحه اليهود والانكليز** ، **ثم نجم قرن** **الملك فؤاد** في مصر . **وكان الثعالبي مع الحسيني خطوة** خطوة ، مرحلة مرحلة . **ولذلك مع احترامي لجميع الاركان** في الوفود الاسلامية القادمة من الخارج ، كان الثعالبي **اوسع الاعضاء علما بالصعاب وخفاياها** . **ومن جملة**

العواصف ، عاصفة الخديوي عباس حلمي وهو في اوروبا وقتئذ يسعى الى عرش يعتليه ويشتريه ، ثم لا تدري بعد ذلك ، اهو يمتطي العرش المصنوع المحيك حياكة اجنبية ، ام العرش يمتطيه . واترك الى القارىء ان يحصي ضروب هذه العقبات . فتأمل !! فؤاد وعباس حلمي !

التقى في المؤتمر عدد كبير من قادة العالم الاسلامي، وليس لدي في الوقت الذي اكتب فيه ، مرجع باسماء هؤلاء العظماء ، ولكني اقول ان وفد لبنان وبيروت كان على راسه رياض الصلح ، ووفد جبل عامل المؤلف من احمد عارف الزين ، واحمد رضا ، والشيخ سليمان الظاهر .

ووفد سوريا وعلى راسه شكري القوتلي . ووفد العراق ، ولا استطيع ان اتذكر منه حفظا سوى كاشف الغطاء وسعيد ثابت ، ووجه الفضل في العراق اليوم الاستاذ محمد بهجت الاثري . ( وهنا بدات الصداقة الواشجة بيننا ) .

وعلى رأس تمثيل ايران السيد الغطريف ضياء الدين الطباطبائي .

ومن الهند وفد كبير على راسه شوكت علي ومحمد اقبال شاعر الاسلام غير منازع .

وجاء حفيد الشيخ شامل الداغستاني الثائر الكبير في القرن الماضي . ووفد يوغوسلافيا ، ووفد مصر ووفد المغرب وفيه محمد الناصري ، ووفد اليمن . اما وفد مصر فقد كان وفدين ، الوفد الحامل تعليمات الملك فؤاد والوفد الممثل لمصر ، وفيه عبد الرحمن عزام، والسيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » .

ووفد « شرق الاردن » ووقتها الاردن كان لم يزل امارة . غير ان « الشخصيات » التي جال اربابها الجولات الكبيرة في المؤتمر وتوجيه سفينته ، ضمت : الثعالبي، والحسيني، ورياض الصلح، وشكري القوتلي ، وضياء الدين الطباطبائي، وعبدالرحمن عزام ولكن عزام بسبب بعض اقتراحاته الاسلامية انتقم منه الانكليز باخراجه من فلسطين قبل نهاية المؤتمر ، فاحتج المؤتمر على هذا والامام محمد آل كاشف الغطاء والشيخ محمد بهجت الاثري ، وشاعر الاسلام محمد اقبال ورجالات وفد جبل عامل ، ورضا توفيق الفيلسوف الوزير التركي في تركيا سابقا ، وكان يقيم في شرق الاردن في رحاب الامير عبد الله مغضوبا عليه من مصطفى كمال ، هذا الى « شخصيات » اخرى لا استطيع تذكرها الان .

وكانت مقررات المؤتمر كلها في سبيل درء الشر الصهيوني البريطاني عن فلسطين .

وكانت المكايد الصهيونية خارج المؤتمر عنيفة ، وكانت التيارات المثلة للملك فؤاد تعمل بنشاط وعناد داخل المؤتمر ، واما تركيا فلعلها قد تاثرت بالدعايات المصنوعة صنعا خبيثا لاستغلال مسألة « الخلافة » فجاء قنصلها ذات صباح الى قاعة المؤتمر وانزل العلم التركي وقاطع المؤتمر .

وكان رئيس المؤتمر سماحة السيد الحسيني الداعي الى المؤتمر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين . واما اللجنة التنفيذية للمؤتمر فقد اشتملت على الثعالبي والحسيني والطباطبائي والسيد محمد رشيد رضا والقوتلي ورياض الصلح ومحمد علي ( علوبة باشا ) كما اظن – وكما قلت اني لا ارجع وقت هذه الكتابة الى مرجع مطبوع – واسس مكتب في القدس لهذه اللجنة التنفيذية ومشت الامور ، ولكن المكايد الصهيونية – البريطانية لم تنقطع ، بعد عقد المؤتمر . ولم تستطع اللجنة التنفيذية ان تقطع مراحل كبيرة في مخططها لان احوال فلسطين اخذت تتغير من سيء الى اسوأ ولاسيما بعد ظهور هتلر في المانيا ثم تسلمه الحكم وميله على اليهود في المانيا بالعنف الشديد والعمل على اخراجهم من المانيا ، كأنه جاء يطبق برنامج المصلح الكبير « مارتن لوثر » زعيم الحركة البروتستانتية في المانيا في القرن السادس عشر ، ومارتن لوثر كان على هذا الراي .

كان الثعالبي في آرائه ومخططه الاسلامي يتفق وجميع الزعماء في وجوب تمتين الروابط الاسلامية اسيويا وافريقيا ، وجعل فلسطين المحور والمدار ، ولكن المخطط الصهيوني البريطاني الاميركي العميق الجذور ، كان بعد سنة ١٩٣٦ وبعد حركة « القسام » في السنة السابقة ١٩٣٥ قد تبدل تبدلا تاما وجعل قاعدته التهيؤ للبطش والاستيلاء على فلسطين بالقوة . وسنة ١٩٣٩ وقعت الحرب العالمية الثانية في ٣ ايلول منها . ومن هنا الى ١٩٤٨ صار التاريخ يتكلم بلغة اخرى في فلسطين

الثعالبي في سطور قصيرة :

– كان مستقبل فلسطين يشغل باله كثيرا ، ولكنه توفي الى رحمة الله قبل الانهيار باربع سنين تقريبا .

– من يحب ان يلتقط كبريات النقاط الفلسفية في التاريخ العربي الاسلامي ، فليأت وليسمع منها قدر ما يستطيع من الثعالبي .

– جعل تونس المثل في شيئين : اولا في صدد الارهاق الاستعماري ، وثانيا في التنظيم الوطني القومي لاحتشاد قوى الامة للمقاومة .

– الثعالبي اخذ من جمال الدين الافغاني حماية بيضة الاسلام ، ومن عبد الرحمن الكواكبي السياحة ودراسة شؤون العرب والمسلمين عن كثب . ولكن مصباحه كان مصباح ابن خلدون .

– خطيب من الطراز الاول .

– هو اول رسول في العصر الحديث من المغرب الى المشرق .

– اعتقد ان اوثق عرى اخوته وصداقته كانت بينه

وبين سماحة الحسيني .

— هو باعث الحركة القومية في تونس ومغذيها .

— هو صحافي ومؤلف ، وطبعا ايضا نزيل السجون والمنافي ، وعذبه الفرنسيون .

— يا ليت من المستطاع ان نعلم الحقيقة في مصير مذكراته .

— قال لي : كنت صغيرا ورايت امي تبكي فسألتها السبب فقالت اما رايت « الفرنج » مروا من هنا وهؤلاء لا يخرجون الا بالحرب ؟

— قال لي : لما كنت اقوم بسياحتي في ايران وصلت مكانا جبليا وقيل لي ان هنا كانت سيدة عالية السن هي قريبة السيد جمال الدين الافغاني .

— سألته مرة : امن الممكن ان استفيد احسن نكتة فكاهية وقعت لك في سياحاتك ، فقال نعم وضحك : كنت ذاهبا الى فرنسا فلما وصلت مرسيليا بالباخرة ، ونزلت الى البر ومعي مظلتي ، ولا امتعة معي ، وجعلت اسير وحدي في شارع طويل عريض ، وانا اعتمر الطربوش ، رايت فرنسيا سائرا فيهذا الشارع ومقبلا علي ثم لاحظت انه يتعمد الاقتراب مني ، فلما وصل الي تقدم منيوانحنى بغاية التكريم والاعظام وقال : اظن اني احيي السلطان عبد الحميد آتيا لزيارة فرنسا ؟ فأجبته فورا : واشكرك اذ ارى امامي رئيس الجمهورية آتيا لاستقبالي . والصحيح على ما ارى ان محيا الثعالبي على الجملة ، المحيا المستطيل ليشبه محيا عبد الحميد . فذكرت له هذا فلم يعارض .

— كنت ازوره يوما في بيت السيد عرفات البيطار في القدس ، ونحن وحدنا في القاعة ، والحديث يتعلق بحب التونسي السياحة ، ومما قاله لي ان التونسي قد يبقى سنين وهو يوفر ويقتصد من مرتبه الحكومي حتى يجتمع له بالتالي مبلغ يكفيه السياحة ولو الى فرنسا ، وبينما هو يقول هذا المقطع من هذه العبارة الاخيرة ، دخل الخادم وبيده بطاقة فناوله اياها وقال له : رسول غريب يريد ان يتشرف بمقابلتكم ، واذا بالثعالبي يستغرق في الضحك مدهوشا ويقول لي هذا الرجل صاحب البطاقة سائح تونسي من الطراز الذي احدثك عنه. فاستولتعلي الدهشة ثم دخل التونسي الرحالة السائح وسلم واحتفى به الثعالبي كثيرا مع الترحيب ولما خرجت مودعا تركت السائح عنده غيراني ما خرجت الا بعد ان سألت الثعالبي عن امر الرجل فقال الرجل نفسه انه يعلم ان الاستاذ الثعالبي في فلسطين ،وانه صديق سماحة المفتي فيالقدس فجعل يسأل اين ينزل الاستاذ حتى عرف عنوان البيت فجاء يزوره زيارة التلميذ لاستاذه .

— كانالاستاذ الثعالبي يتفضل بان يقبل دعوتي الى بيتي ، او بيته هذا الصغير في القدس ، وكان من عادته ان يدخن « النارجيلة » فهيأت لههذا ، ومقعدا وثيرا على شرفة مطلة على سكة الحديد على بعد بضعة امتار . فانست به كل النهار الذي قضاه على تلك الشرفة وحوله بعض الازهار الحدائقية . ثم انتقلت الى منزل آخر له حديقة واسعة وفي الحديقة شجر وازهار ، ودعوته ليكون ضيفي العزيز النهار كله ، ودعوتنفرا من اصدقائي الذين هم من تلاميذه ، وجلس النهار كله في الحديقة والاصدقاء يحفون به ، وهم بين يديه يستمعون ويستفيدون .

— جمع الثعالبي بين النضال السياسي ، والتنظيم القومي العملي ، والقدرة العجيبة على الحديث الشهي الذي يحول به الحقائق الفلسفية الى طعام ذهني . هذه الصفة كانت في السيد جمال الدين ، اما الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فاذا كان المتحدث معه ليس له ذهن يستوعب فلا يميل الى الخوض معه .

— يعد الثعالبي من المصلحين اجتماعيا ، ومنزلته السبق والريادة ، وهو من شخصيات العالم الاسلامي البارزة مدى ستة عقود . وفلسطين تذكره ذكرا عاطرا وسيرة الثعالبي حية ، وهو بها من الخالدين في تاريخ العروبة والاسلام ، رحمه الله في اعلى عليين .

راس المتن — لبنان　　　　عجاج نويهض

## نداء الروح

يا ضوء احلامي وذاتي
حتام تنكر ذكرياتي
أشكو اليك من البعاد
وما أعاني من موات
واظل منتظرا هوى
مترقرقا عذب السمات
مضني يسامرني النوى
ويميت احلى امنياتي
يا من وهبتك مهجتي
واليك اشدو اغنياتي
هلا أعدت مودتي
وربيع احلامي المواتي
اني هنا مترقب
طيفا ينير ظلام ذاتي
ويعيد لي اغلى المنى
فمتى تنور لي حياتي

بغداد　　　　عبد الخالق فريد

# أبـي

ابي لست ادري كيف ارثيك في شعري ... وهذا كياني يا ابي ضاق بالجمر
ابي لم يكن هذا رثاء فانها ... شكاية قلب ثاكل ابد الدهر
سارثيك لا بالشعر عقد جواهر ... ولا بشتات الانجم الزهر في النثر
وليس بآهات وانات موجع ... ولا بدموع العين محمرة تجري
ولكن بقلب ذاب شطراه لوعة ... فلم يبق شطر منه يبكي على شطر
رحلت فلا والله لا العيش مثلما ... عهدت ولا ايامنا مثلما تدري
احس باعباء الحياة ثقيلة ... مهيضا ، ولما كنت قد كنت كالنسر
فيا ويح ظهري ما الذي ران فوقه ... واهوت عليه غير قاصمة الظهر

نعيت ابي فاستشعر الناس هزة ... ولاحت على سيمائهم رعشة الذعر
وهبوا حيارى ذاهلات حشودهم ... تسيل دموعا لو تجمع كالنهر
به سار فلك النعش والناس حوله ... كطوفان نوح او كنائلك الغمر
ومزقن ربات الحجاب حناجرا ... حرائر يدمين الصدور على حر
فيا لك من يوم عصيب كانه ... هو الحشر او مما يقال عن الحشر

تعاودني ذكراك في كل لحظة ... فيهفو لها قلبي ويحضنها فكري
اراك ابي انى اتجهت وفي الكرى ... اراك باحلامي ، اناجيك في سري
يضيق بعيني الفضاء وما به ... وليل من الارهاق يجثو على صدري
يقولون لي صبرا فقلت تعلة ... فما ابعد الملسوع عن بلسم الصبر
وما انا الا زورق قد تحطمت ... مجاديفه من عاصف هب في البحر
تقاذفه الامواج من كل جانب ... ويلهو به الاعصار بالمد والجزر
يمينا ابي لو يقبل الموت فدية ... فديتك فيما قد تبقى من العمر
بقية عمر للهموم تركتها ... وللشوك في جنبي والحنظل المر
وان قناة سدد الموت نصلها ... اليك ، لاشهى لو رمتني في نحري
لقد اوحشت عيني منك بشاشة ... تلوح على وجه تماوج بالبشر
وقد شاق سمعي من شفاهك منطق ... وديع ، على سمعي احب من السحر
وبسمة من راض الحياة بزهده ... فبسمته الخضراء تزهر في الثغر
وحكمة من لا يبتغي غير ربه ... فحالته سيان في اليسر والعسر

ابي افتقد المحراب والليل مسدل ... خشوع تراتيل الى مطلع الفجر
يسائل عنك الليل نضو تهجد ... وخدن ابتهالات مقدسة الذكر
فقدتك ظلا لو دواليه قصرت ... يمد ضلوعا كي يقيني من الحر
قليل ابي اني اموت من الاسى ... ويقضي وفائي ان اسارع للقبر
عليك سلام كلما هبت الصبا ... وما حن مشتاقا الى الفه القمري

**باقر سماكة**

بغداد
ص.ب ٤٦٧



الدكتور محمد رجب البيومي

# من قصص البادية

**قصة واقعية حدثت في اخريات القرن الماضي حدثني بمضمونها الاديب العربي المبين الاستاذ عبد العزيز الربيعي فهي مهداة اليه**

**بقلم الدكتور محمد رجب البيومي**

* * *



شحت السماء ذات عام على واحات بني ثويب ، وكلب الجوع بالسابلة ممن يترددون على شيخ القبيلة فيجدون بشاشة الوجه ، وكرم اليد ، ولطف المأوى ، والشيخ الكبير اريحي مسماح يهتز للجود ، ويثلج صدره ان يرى ابتسام الآكل لديه ، وراحة المتعب عنده ، وطرق الوافدين صباح مساء لا يكاد يخلو منهم مكان ، ولكنه يجيل التفكير فيجد ان المال مع هذا الجدب الموحش الى نفاد ، فالزرع ذاو ، والحيوان هزيل طاو ، والابار ناضبة ذات شح ، فلا يدري ماذا عسى ان يصنع ؟ ايوصد بابه دون الطارقين ؟ ام يرتحل الى حيث لا يعلم ؟ ام يقتصد اقتصاد الممسك فلا يقدم غير الفتات .

وذهب الى مضجعه حائرا متكسرا ، وكل امله ان تدركه السحب بطوفانها العميم ، فتهتز الارض ويورق الثمر وتفيض الينابيع فيحيا الانسان ويسمن الحيوان ، وإذ ذاك يلبي داعي المروءة في نفسه ، فيقدم خير الله للناس ، وهل هو الا خازن دراهم اذا وجد انفق واذا لم يجد كتم غيظه كيلا يخلف داعي الفتوة ، فتلك التي تدمي فؤاده ! ثم ما فائدته في الحياة ، وما جدوى مشيخته اذا لم يكن نبعا يفيض ، وشجرا يمد الظلال .

ورات زوجته تيماء ما يرين عليه من هم ، وقد نفذت بفراستها الى سويدائه فقرات ما يصطخب في خاطره من امواج ، وعرفت ان الرجل الصابر فريسة صراع مرير ، وهي - فيما بينها وبين نفسها - كانت تفكر في مثل ما يفكر ، وقد اعتادت الاتقف في طريق كرمه ولا تدري الان كيف تفاتحه فيما ينوء به ! وها هو ذا يتأزم صامتا ، ويتأوه كاظما - والداء اقتله دفينه - افيجوز لها ان تسكت ! وقد اعملت ذكاءها فرات ان تقتحم عليه سره دون ان تلقي عليه التبعة ؟ فهناك ولدها « حجرف » وزوجته « هند » وتشهد انها كانت تهيم حبا بحجرف ، وتعقده املها الباسم في الحوالك ، ولكنه منذ تزوج بهند وملأت عليه حياته لم يعد صاحب المكان الاول في قلب والدته ، وانى ؟! والوافدة الغريبة تملك عليه قلبه ، ولا يكاد ينظر الا بعينها او يسمع الا باذنها ! افتؤثره بعد الان بالمكان الاول من قلبها وليس في قلبه غير فتاة وافدة صارت شغله الشاغل وانسه المقيم ! لم لا تحاول ان تخفف عن زوجها بالكيد لهند وصاحبها ! وفي واقع امرهما ما يمهد للتصديق ، ويوحي بالجد والاهتمام !

تقدمت تيماء من الشيخ ، وقالت في غضب :

لو لم تمنع ولدك « حجرف » من ذبح النياق ، وتبذير العطاء استجابة لرغبة زوجته الهوجاء لوجدت الان من مالك ما يسعف ! ولما ضاقت الدنيا بعينك وانامسكت السماء !

نظر الزوج في تؤدة وقال : وماذا صنع حجرف! انه يسلك طريقا سلكه ابوه ، كما سلكه جده وعمه ، لقد رآني اذبح فذبح ، وشاهدني امنح فمنح ؟ اانكر عليه ما آتيه !

فانتفضت الزوجة صارخة تقول : افسدته الهوجاء التي تدفعه الى التبذير والاتلاف ! لا تكاد تبقى على شيء ، انها - وانتما غائبان - تطعم الوافد وتوقد النار ، وكأنها رجل كسوب !

قال الشيخ : على ذلك نشأت في بيت والدها الكبير !

فهاجت الزوجة تصيح : الم انشأ في بيت افضل من بيتها ؟ اكنا في حاجة الى ان تعلمنا هذه الرعناء ! والله لن تقيم معنا ، واذا شاء هذا الخائب المتلاف ان يرحل معهما ، فليذهب الى غير بقاء.

قال الشيخ في لطف : حزمك يا ام حجرف ورفقا بهند !

فقفزت الزوجة تقول : سانغص عليها العيش ، سأهينها امام الوافدين ، لو تعرض لي حجرف لذبحته ، لم يعد ابني ، وسيرى .

شاهد الليل فرسا يركبه حجرف وناقتين تركب احداهما هند ، وقد توجها جهة المشرق لا يدريان اين يذهبان ؟ وكان الزمن صيفا ، والظلام ميدان السرى فاذا

متع الضحى نصبا الخيمة واراحا الحيوان ، وتبلغا بما يحملان من الزاد ، وكان من راي هند ان يستقر بهما السير في خيام ابيها ، والزوج لا يرى ان يجيء الى صهره طريدا ، ويفضل ان يزوره سيدا ذا حول واتباع ! وطال الحوار دون اتفاق ، وكأن ما بنفسيهما من شجون قد ناء بقواهما فآثرا ان ينتظرا ليلة دون مسير ، وجلسا يسامران النجوم، اذ وقفت الكلمات دون انطلاق ! ولكن ركبا يقدم من بعيد! فيخترط حجرف سيفه ويتهيأ للموقعة متربصا الشر من قاطعي الطريق وما اكثرهم في منعرجات الرمال ومخارم الوديان .

انتصب الزوج ، فارع القامة ، حديد البصر ، وجعل يتأمل القادمين في حذر فما راعه الا ان يهتف احدهم .

وافرحتاه ! حجرف بن شيخ بني ذؤيب ! ستطعمون يا قوم ! لجأنا الى سيد العرب وابن سيدهم ! بعثتك الاقدار لنا يا حجرف !

فرفت ابتسامة على وجه الاريحي المتطلع وسأل: وكيف عرفتم من انا ؟

فصاح احدهم :

نعرفك ونعرف والدك ونعرف زوجتك هند ، لا يمر بنا عام دون ان ننزل في خيامكم اسبوعا او اسبوعين فنجد ما لا نجد الا عند الكرام الاجواد ، نحن ضيوفك الليلة يا حجرف !

وكانت هند تسمع ، فاقتادت ناقة الى زوجها وصاحت هيا يا رجل ، سأحضر لك الثانية ، فالجمع كثير !

فتقدم حجرف في فتوة ، وقبل هند في اعجاب، وقال في نفسه : لم تبخل في احرج المواقف : أأكون دونها؟ يستحيل .

ثم حمل المدية ، ونحر الناقتين وقال للاضياف، جهزوا الطعام فليس معنا خدم ، فشمر كل عن ساعده، وارتفعت الاغاني بشعر البادية ، وضربت الدفوف لتقطع صمت الصحراء حتى اذا نضج الشواء اقبل الساغبون نهمين فما تركوا شيئا يدخر للصباح ! ثم ارسلوا دعوة الرحيل ، وانطلقوا قبل ان تبدو تباشير الصباح.

ونظر حجرف الى هند فرآها تبتسم ، فقال في اسف : لو طرقنا طارق ما وجد عندنا شيئا !!

فصاحت به : معك سيفك ، والظباء حولك تعدو، وربك من فوق كريم يسعف الكرماء ! ثم دنت منه فأسرت في اذنه :

سأريحك اليوم من الكفاح ، كنت اصطاد الظباء عند ابي ، وسأبعد قليلا لاحمل اليك زاد الليلة ، اتشك في مقدرتي ؟

فقال في هدوء : لقد تعود حصاني علي ، ولا بد ان اطارد به القنيصة ، وقد تمدنا الايام بحصان جديد، يكون طوع بنانك فتنشطين لما تريدين ، انتظري يا هند ! فلك بعد قيدان حفيل ، ثم ركب حصانه وانطلق غير موغل ليكون من صاحبته على قرب ، فاقتنص فريسته وعاد.

طلعت النجوم في سماء الصحراء ، وبسطت هند فراشها امام الخيمة لتجاذب صاحبها الحديث ثم راتان تهون الامر فقالت في ابتسام !

ـ ما ايسر العيش ! جولة واحدة تحضر الطعام، ونفخة واحدة تنضجه ، ثم الراحة الهادئة ، والرفيق الحبيب .

فقال حجرف في جد ! ليس الامر امرنا وحدنا يا هند ! ماذا اصنع اذا قدم الوافدون كما فعلوا بالامس، ربما تلحق بنا قافلة تعرفنا ، فتطلب الزاد والمأوى ! لا بد لنا من عدة وعول !

قالت هند : والله لقد فكرت في ذلك ، وعلمت ان الله الذي جعلنا نعطي ونمنح لن يتبخل علينا بما يعطى ويمنح! ومن يدري فلعل الغد يقدم بما لا نتوقع ، قد يمر بنا شيخ موسر يقرضك او يشاطرك او يضمن لك عندسواه، واذ ذاك تمد البساط ، وتملأ الجفان، وتستقبل الضيفان.

ـ قال حجرف ، اسمع هتافا في اعماقي ينبئني ان الله لن يضيعني ، ولن يحرمني لذة الاريحية ، وبهجة المروءة ، وبشاشة العطاء .

وحمحمت الفرس ومدت ببصرها تخترق الظلام ونصبت آذانها كمن تتسمع فهتف حجرف : لا بد من امر! هذا الحيوان العجيب قد سمع ما لا اسمع ولا بد ان ابادر الشيء قبل هجومه ، ثم امتشق سيفه وسار بضع خطوات فسمع همهمة أصوات تتقدم من الشمال ، وتوقع قافلة تنهب الليل متجهة نحوه ، فقال في نفسه : اقافلة شر أم خير ثم توجه صوب الهمهمة حتى اذا كان منها على بعد، صاح في عزم :

ـ انا بطل بني ذؤيب ! اقود قومي
فرد عليه الصوت في غبش الظلام
اذن انت حجرف نجل الشيخ
ـ نعم فمن تكون ؟
ـ انا بطل بني فهد ، اقود قومي !

فقال حجرف : اذن انت مسعود بن غالب ! لنتعانق.

وتقدم مسعود فاتحا ذراعيه فاحتضن حجرفا ونظر فلم يجد من احد خلفه .

فقال في عجب : واين ضربتم خيامكم يا حجرف ؟ اني لا اجد سواك !

فقال حجرف دون تلكأ : خلتكم اعداء ، فاردت ان اخيفكم .

# الآتي مع الطوفان

★

يـــا سيـــدي الآتي عـــلى عجـــل.. تمهل في المســـير
في كـــل منعطـــف تـــو قف والتقـــط نفسا قصير
انصـــت قليـــلا هــــذه الاصوات ليســـت زمهرير
هـــو بعضهـــا والبعض اصـ ـــداء لخفـــــاق صفـــير

وتهب عـــاصفـــة واعصـــ ـــار وينـــدك السديم
وتغيـــب كـــل زوابعـــي ويصـــير اعصـــاري نسيم
يـــا سيـــدي الاتي من النسيـــان من وجع قـــديم
من اي اعصـــار اتيـــ ـــت لتحطـــم الصمت المقيم

يـــا سيـــدي الاتي مـــع الطوفـــان تختصر السنين
يـــا من نسجـــت الحلم اشـ ـرعـــة وايقظت الحنـــين
لا تبتعـــد لـــم يغـــرق الطـــوفان كل العـــابرين
في كـــل مرتفـــع ستلـــ ـــقى من يلـــوح للسفين

دمشق سلافة العامري

---

فأطرق مسعود لحظة ، ثم سأل : ومن قذف بـك وحدك في هذه المتاهة البهماء؟

ــ لست وحدي ! معي زوجتي !

ــ معك هند ، صاحبة الاريحية ، وبنت السيـد الهمام ! ظلمتها يا رجل اذ تتركها في هذا البلقع الموحـش دون انيس !!

ــ لقد خالفت ابي في امر ، ولج الخلاف فتركتـه دون رفيق غير هند ! فقلب مسعود كفيه ، وقال مالنا مناصفة ياحجرف ! انت سيد ابن سيد ولن تضيع !

ثم صاح في القافلة :

اشطروا العبيد والابل والخيل والبقر والغنـم شطرين يا رفاق !

قال حجرف في عجب : ذلك كثير !

فرد مسعود في حماسة : لا يا رجل ! هذا يومي وقد يكون لك يومك بعدحين هيا يا حجرف الى خيامـــك ، وسيتبعك ما يعين !

وكانت لحظات قصار ، تطلع عندها حجرف وهند ، فاذا الارض قد ملئت عبيدا وخيلا وابلا وغنما وبقرا ، واذا الكل رهن اشارة حجرف ، واذا الدنيا دول وحظوظ .

استعرض حجرف ما ملك ، فحمد الله ان حقق ظنه ، ورای بريق السعادة في وجه هند ، فخيل اليه انه ملـك الارض ، ومكث اسبوعا يستقبل الوافد ويهب المحتـاج ويطعم الجائع ويؤمن الخائف ! ولكنه وجد زوجته تفكـر ساهمة فتقدم يسألها عما شغل ، وصاح بها :

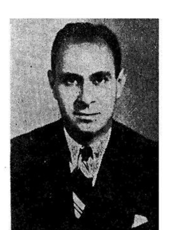
ــ لقد عاد الانس سريعا ففيم الاكتئاب ؟

فقالت : لا ارى المنزل هنا بدار اقامة ، لترجع الى ديار ابيك ، ولتضرب خيامك بازائه ، ولترحه من عناء الاستقبال والاحتفاء ! فالرجل شيخ طاعن ويريـــد ان يستريح .

برق ضوء السرور في وجه حجرف ، وقال فيملاطفة: واذا تحامقت العجوز ؟

فردت هند في ابتسام : سأتحمل كل شيء مناجلك انت يا سيد الرجال .

كلية اللغة العربية ــ الرياض محمد رجب البيومي



وديـع فلسطين

# حديث مستطرد عن مي وعصرها

## بمناسبة صدور كتاب وداد سكاكيني عنها

بقلم وديع فلسطين

* * *

عودتنا اديبة العرب الكبرى وداد سكاكيني ان يكون لقاؤها مع قرائها على سامقات الذرا ، لان كل كتاب اصدرته انما توخت فيه بلوغ قمة الادب و « هملايا » الفن .

اما كتابها « مي زيادة في حياتها وآثارها » ، فقد بلغت به قمة القمم ، سواء اعددناه دراسة ادبية ، ام سيرة ، ام اطروحة مما يؤهل لاعلى مراتب التقدير الاكاديمي في امهات الجامعات .

وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٩ ، وكنت يومها شديد النأي عن الادب ومطالعاته في مهجر سحيق خصه الله بكل شيء الا بنعمة العلم والمعرفة ، وانقرضت منه جميع معالم الادب حتى انني في عامين كبيسين لم الق وجه اديب واحد ، بينما كنت في كل عمري موصول الاسباب بادباء الضاد في طول ديار يعرب وعرضها .

ولم يتسن لي الالتفات الى كتاب وداد سكاكيني الفريد الا اخيرا ، فكانت لي معه ساعات ممتعة اسلمتني الى سياحات في عصر مي زيادة ، وخواطر تتصل بها ، مما اجتهد في اثباته باسلوب الاستطراد ، ولو تشعب الحديث وتباعدت اطرافه .

كنت في عام ١٩٤١ اطلب العلم في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، وكانت قاعتاها - قاعة يورت التذكارية والقاعة الشرقية - مهرجانا متصلا لندوات الادب والفكر ومحاضرات الثقافة وعلوم الاجتماع . وكانت برامج هاتين القاعتين تزدحم بالخطباء والمحاضرين والمتناظرين والباحثين ، بل بمعارض الفنون وافلام السينما التثقيفية ومنتديات كبار اهل الراي في مصر . وكانت الجامعة تستعين بنا نحن طلابها في تنظيم جلوس رواد القاعتين وهم مئات بل آلاف ، نقف عند المدخل ، فاذا بدأ رهط الرواد في الوصول ، قدناهم الى اماكنهم ، حتى اذا ازف موعد المحاضرة جلسنا نصغي الى المحاضرين ، وكلهم ذو تاريخ في حركة الفكر او ميادين الحياة العامة او في الحياة الادبية والعلمية . وفي هاتين القاعتين الجليلتين ، اصغينا الى طه حسين والعقاد والمازني وفؤاد صروف ومحمد علي علوبة ومحمد صلاح الدين وابراهيم بيومي مدكور وحافظ عفيفي وهدى شعراوي ومظهر سعيد وشفيق غربال وسابا حبشي وفكري اباظة وتوفيق دياب وما شئت من اسماء الاعلام في هذا العصر .

وفي يوم الاثنين ٢٠ من يناير ( كانون الثاني ) من تلك السنة ( ١٩٤١ ) قال لنا المشرفون على هاتين القاعتين ان الانسة مي ، وقد استردت عافيتها وعادت الى مصر من لبنان ، ستلقي محاضرة في القاعة الشرقية عنوانها « عش في خطر » ، وذلك بدعوة من المستشرق العظيم صديقنا واستاذنا الراحل الدكتور تشارلس آدمز صاحب كتاب « الاسلام والتجديد » . فابديت للمشرفين اعتذاري من عدم المشاركة في تنظيم مواكب الجمهور الغفير ، لان عندي في اليوم التالي امتحانا ، ولا بد من الاستعداد له بالسهر والاكباب . وقلت لهم : سأحرص على حضور محاضرات مي في المرات المقبلة .



ولكن لم تكن هناك مرات مقبلة لان محاضرة « عش في خطر » كانت آخر ما القته مي من محاضرات عامة ، وقد اجملنا خبر هذه المحاضرة يومذاك في جريدة « القافلة » التي كنت من محرريها في الجامعة ، فقلنا في عدد ٢٣ من يناير ( كانون الثاني ) ١٩٤١ ما يلي :

« الدنيا كلها خطر ، وتاريخها حافل بالاخطار ، لذا يجب على المرء الا يخشى الخطر في هذه الحياة ، كما قالت الانسة مي في محاضرتها « عش في خطر » التي القتها يوم الاثنين ٢٠ يناير الساعة ٥،٣٠ بالقاعة الشرقية ... وقد حضر هذه المحاضرة عدد غفير اعجب بسحر الانسة مي في تسلطها على مسامعهم وتملك شعورهم بطريقتها المدهشة في الالقاء ، كانت تضرب الامثال من صميم الحياة على مقاومة الخطر وتدرجه حتى اصبح في حضارتنا الراهنة شيئا عاديا ، قائلة اننا لا نتصور مقدار ما عاناه الانسان الاول من البسالة في الاقدام على ركوب الحمار لاول مرة ، ولكنه الان يركب القطار والسيارة

والباخرة فالطائرة دون ان يفكر في اي خطر » .

**وهكذا فاتتني المرة الوحيدة التي اتيحت لي لرؤية وجه مي** ، لانها لم تلبث ان ركنت الى العزلة ، وتولاها الانقباض حتى ختمت ايامها في ١٩ من اكتوبر ( تشرين الاول ) من تلك السنة عينها ( ١٩٤١ ) .

**واذا كانت وداد سكاكيني** اشارت في كتابها الواسع الاستقصاءات الى ان اخر محاضرات مي كانت في قاعة « وستهول » في جامعة بيروت الاميركية ، فواقع الامر **ان محاضرة القاهرة كانت خاتمة محاضرات مي** .

اما اخر مقال كتبته مي فكان موضوعه « **تحية الاعياد** » وقد كتبته استجابة لرجاء اختنا العزيزة الاديبة **النابغة والمربية الجليلة منرفا عبيد** لنشره في المجلة الزاهرة التي كانت تصدرها للارتقاء بفتيات الامة العربية، وهي مجلة « الطالبة » . **وقد اندرج هذا المقال في عدد** يناير ( كانون الثاني ) ١٩٤١ ومما جاء فيه قول مي :

« ... فالى اي الناحيتين تتجهن ، ايتها القارئات العزيزات ، وبخاصة انتن ، **ايتها الطالبات النجيبات ؟**

لست اشك في انكن تخترن ناحية الخير بلا تردد ، راغبات في تقوية الروح الانساني وانماء ذخيرة الانسانية في الصلاح والجمال عن طريق العمل المفيد الذي تحسن به الى نفوسكن والى وسطكن والى وطنكن .

فاحيي فيكن **هذه** الرغبة النبيلة وهذا الاتجاه الحميد ، واهنئكن بالعيد متمنية لكل منكن عاما سعيدا تكون فيه ارهف نشاطا ، واقوى روحا ، واحكم قصدا ، واصفى نية ، واتقن عملا ، واوفر جمالا ، واتم اناقة .

واخص بالتحية والتمني اولئك المحزونات اللائي تدمع عيونهن وتدمي قلوبهن وان كن لا يكشفن عن جراحهن امام الغرباء بل يخفينها وراء زهرة ناضرة وابتسامة حلوة فتكون الابتسامة شعاعا من النور يرسل الانس والسرور الى محيطهن . اليست المواسم والاعياد آلم ما تكون للقلب المحزون ؟ » .

ومن اسف ان مجلة « **الطالبة** » هذه ، التي قالت فيها مي انها « تتحفنا كل شهر بذلك المزيج الطلي الجامع بين اللذة والفائدة »، وقد احتجبت في عام ١٩٦٨ بعد **واحد وثلاثين عاما من صدورها المنتظم** لقلة القارئات من الطالبات من المحيط الى الخليج ، وهي المجلة التي كتب فيها اعلام كبار كابرهيم ناجي وهدى شعراوي ومظهر سعيد وزوجة نظلة الحكيم وامير بقطر ونقولا يوسف واديبات فضليات كنعيمة الايوبي ووداد سكاكيني وفلة فهمي بدوي وجاذبية صدقي ودرية فهمي ولونا عبيد والانسة الزهرة اوليفيا عويضة فضلا عن محررتها النابغة منرفا عبيد التي كانت من **اقرب الصديقات الى مي** في اخريات عمرها .

وقد روت اديبتنا الكبرى وداد سكاكيني ان الانسة مي « اخذت في قلقها تصطنع لفائف الدخان ، وهي التي كانت تجتويها ، لعلها تجد في التنفيخ تسرية عنها . وقد رآها الاديب الكبير ابرهيم المصري تجمع لفائف الدخان انصافا في علبتها لكي لا يطول التنفيخ فيها » .

وقد سألت اخي وجاري وصديقي الاستاذ الكبير ابرهيم المصري حول هذه الواقعة ، فأجابني بان « ميا » كانت تقطع السيجارة نصفين وتضعهما في علبة واحدة ، وكانت ترمز بذلك ـ عن سليقة او غير قصد ـ الى ان طبيعة الحياة قوامها الازدواج ، وليس يصح ان تبقى حتى السيجارة وحيدة بلا انيس .

ثم قال استاذنا المصري انه كان يتردد على ندوة مي، وكان يتسلح بقراءة احدث الكتب الفرنجية « الطازجة » لعله بذلك يتحداها ويعجزها ، ولكنه كان يفاجأ دائما بانه لا يكاد يستهل الكلام في كتابه الوارد لتوه في بريده **الادبي ، حتى تفيض مي** في الحديث عنه وفيه، عن قراءة واستيعاب دقيقين . ولم يستطع ابرهيم المصري ان يفوز **عليها مرة واحدة في المتابعة الحثيثة لكل جديد** .

وروى لي اخي الحميم الشيخ المجدد والاديب الكبير الواسع الاحاطة بآداب العرب الاستاذ محمود ابو ريه ـ وما زال بي من العي ما يؤود قلمي كلما حاولت ان اخط سطرا في رثائه والتفجع عليه ـ انه لاحظ ان مجلة « المقتطف » كانت في عهد منشئها الكبير الدكتور يعقوب صروف تنشر فصول مي متقدمة على فصول مصطفى صادق الرافعي . وكان ابو ريه شديد التعصب للرافعي يدين له بالاستاذية الاولى ويحفظ جميع آثاره حرفا حرفا ، وتتصل بينه وبين الرافعي المراسلات في شؤون الادب وشجونه .

وفي ثورة من قلمه ، جلس يدون رسالة الى الدكتور صروف مليئة بآي العتاب لانه لا ينزل الناس منازلها ، فكيف تتقدم مي على الرافعي ، وهي منشئة واسعة الخيال بينما الرافعي كاتب معجز ، ناهيك بانه اكبر منها سنا وارصن عبارة واثبت قدما في الادب شعرا ونثرا ؟

فرد عليه الدكتور صروف برسالة اطلعني عليها قال فيها ما معناه انه لا يراعي في نشر المقالات ترتيبا بروتوكوليا معينا ، فالامر كله رهن باعتبارات المطبعة ، وان من المصادفات غير المقصودة ان تجيء مقالات مي قبل مقالات الرافعي . واضاف صروف انه رأى بعينيه كبار رجال العصر ـ ومنهم الشاعر اسمعيل صبري باشا ـ يقبل يد مي احتراما واجلالا .

وارجح ان رسالة صروف قد اندرجت بنصها في الطبعة الثانية من كتاب « رسائل الرافعي » وكان الاخ الوفي محمود ابو ريه قد وافاني بنسخة منها حين كنت في مغتربي القذيف ، فنهبت ضمن ما ضاع من كتبي.

ويسوقني هذا الحديث المستطرد الى وقفة عند **الطبعة الثانية** من « رسائل الرافعي » اسجلها انصافا

للتاريخ قبل ان اتوخى انصاف ابي ريه نفسه ، فقد فزعت عند تلاوتي مقدمة هذه الطبعة ، لانني وجدت ابا ريه يخرج عن حلمه المعهود وادبه المأنوس فيغلو في القسوة على الاديبة المكينة الدكتورة نعمات احمد فؤاد لان دراستها للرافعي ابرزت نقائصه من واقع ما كتبه من رسائل الى ابي ريه . وانبريت اكتب رسالة من ديار غربتي الى هذا الصديق النبيل ، قلت فيها ما معناه انك ظلمت الاخت الدكتورة نعمات التي توخت غايات الادب ولم تغادر مناهجه السليمة ، وانني منذ عرفتك في سنوات مديدة لم ارك الا متحليا باعظم خصائص الانصاف والقسط في الاحكام ، ولهذا ادهشتني منك هذه الحملة الجائرة على اديبة نحترمها ونكبر فضلها ، ناهيك بانها كانت في غربة المهجر اعز صديقة لزوجتي .

فتلقيت برجوع البريد رسالة من ابي رية ــ ضاعت ضمن المنهوبات ــ ابدى فيها شديد اسفه على ما دونه في مقدمة هذه الطبعة الثانية من عبارات عنيفة ، ووعد برفعها من الطبعة الثالثة ان قدر له نشرها ، ولكنه لقي وجه ربه في ١١ من ديسمبر ( كانون الاول ) ١٩٧٠ فأخلف بذلك موعدين : موعدا كان معي على لقياه ، وموعدا لانصاف اديبتنا الكبيرة نعمات احمد فؤاد .

وقد وعدت اختنا العزيزة وداد سكاكيني بان تعد كتابا جديدا عن رسائل مي ، وهي رسائل تبادلتها مع كبار معاصريها ، فنشر بعضها كرسائلها الى لطفي السيد وجبران والرافعي ، ولم ينشر قسم كبير منها ، اما لانها لم تحتفظ بصور منه ، واما لان الذين تلقوا هذا البريد الادبي لم يكونوا عليه حريصين ، فتناثر بعد موتهم او عدت عليه عوادي الزمن . وقد اخبرني الاديب العراقي الدكتور مصطفى نعمان البدري انه ظفر من اسرة الرافعي بمجموعة رسائل مي اليه ، ولعلها تظهر ذات يوم في كتاب منشور بعد ان ذهب بعض الباحثين، ومنهم صديقنا الراحل محمد سعيد العريان واخونا الحبيب اديب الحجاز المجاهد عبد السلام هاشم حافظ ، الى استنتاج قصة من قصص الحب بين الرافعي ومي ، وهذا ما نفته وداد سكاكيني باقطع العبارات ، ذاهبة بدورها الى ان الحب الوحيد في حياة مي ، هو الحب الذي اكتشفه البير اديب بحاسيته الادبية اللماحة، واكدته الرسائل المنشورة بين مي وجبران خليل جبران.

ومهما يكن الراي الذي ينتهي اليه الباحثون والمنقبون في حياة مي حول هوى قلبها ، وهل استأثر به جبران او ولي الدين يكن او العقاد ( كما جاء في كتاب عامر العقاد ) او الرافعي او غيرهؤلاء واولئك ، فما زلت اعتقد ان هذا الجانب من البحث هو من الخصوصيات التي ينبغي التعفف عن الخوض فيها ، اولا لان الحقيقة نفسها ضائعة، وثانيا لان الاشخاص بدورهم قد انبتت صلتهم بالحياة ولا سبيل الى استنطاقهم نفيا او اثباتا لهذه الواقعة . ثم انني ما زلت ارى ــ والح في هذا الراي الحاحا شديدا ــ ان الرسائل التي يتبادلها الادباء هي من الضنائن التي ينبغي حجبها عن اعين سواد الناس . فقد تواضع الناس على ان يجعلوا من الرسائل ميدانا للخصوصيات ومجالا للمناجيات والمكاشفات ، ولو ارادوا لها غير ذلك لجعلوها منشورة مقروءة مشاعة . ولن يعييني ان اقول باعلى صوت ان هذه الرسائل ــ مهما يكن الراي في قيمتها كتاريخ للادب ــ يجب ان تدفن باكرام . وذا كانت في تاريخ مي فجوة عميقة تحتاج الى جهد الباحثين لسدها، فهي الفجوة التي تخلفت عن ضياع كل ما قيل في ندوتها الاسبوعية كل ثلاثاء على مدى عشرين عاما . فاين هو الباحث الدؤوب الذي ينصرف انصرافا كاملا لاستقصاء ما يمكن ان يسمى « محاضرة ندوة مي » وبعث هذا كله في كتاب ؟ فمن غير المقبول ان تضيع كل هذه الاحاديث التي تبادلها رجال عصر بكامله في ندوة مي ، ثم ننشغل بجمع رسائلها المتناثرة .

ومن المعاصرين الذين شهدوا ندوة مي ، والذين قد يستطيعون بكد الذهن استحضار بعض ما دار فيها الدكتور فؤاد صروف والشاعرة جميلة العلايلي والاديبة منرفا عبيد والاديب الصحفي اسعد حسني ، ولعل هناك غيرهم ، وهؤلاء جميعا ، وعلى راسهم اديبنا العظيم محمد عبد الغني حسن منصف « مي » بكتابيه الباذخين عنها، يحسنون صنعا لو تصدوا لهذه المهمة الادبية الجليلة ، على مشقتها الفادحة بعد انقضاء هذه السنوات الطوال على الندوة نفسها وعلى وفاة صاحبتها .

والشاعرة جميلة العلايلي ذكريات عن مي سجلت بعضها في كتاباتها ، وبقي ان تسجل مزيدا مما عرفته عنها.

ولا ادري لم خلا كتاب وداد سكاكيني من الشعر الذي قيل في رثاء مي ، وابلغه شعر مطران والعقاد ثم قصيدة « قصة مي » التي نشرها الشاعر الكبير محمد مصطفى الماحي في مجلة « الهلال » عام ١٩٤٣ ثم ادرجها في ديوانه بطبعتيه الثانية والثالثة .

اما مطران فقد رثاها بقصيدة عامرة ( اندرجت في الجزء الرابع من ديوانه على الصفحات ٢٧٩ ــ ٢٨١ ) قال فيها :

| | |
|---|---|
| ان يلم الردى بمي غداة | يا لقومي باي خطب دهينا |
| طالع السعد هل تحول نوءا | يبعث الريح والسحاب الهتونا |
| فاذا ما اقر امس عيونا | قرح اليوم بالدموع العيونا |
| نعمة ما سخا بها الدهر حتى | آب كالعهد سالبا وضنينا |
| ايهذا الثرى ظفرت بحسن | كان بالطهر والعفاف مصونا |
| لهف نفسي على حجى عبقري | كان ذخرا فصار كنزا دفينا |

ورثاها الماحي بقوله :

| | |
|---|---|
| فيا درة ما كان اصفى بهاءها | ويا كوكبا ما كان اعلى تساميا |
| تبارك ربي اي سحر تألقت | مباهجه حتى بهرن مجاليا |
| واي بيان جودته قريحة | واسعفت الالفاظ فيه المعانيا |
| واي جمال كان يرجى ويتقى | فتحسبه عند التداني تنائيا |

واي وفاء عز في الناس مثله ... وحسبك ان تلقى من الناس وافيا
محاسن يعيا الشعر دون بيانها ... ويقصر عن ايفائهن بيانيا

ورثاها العقاد العظيم بقوله :

اين في المحفل مي يا صحاب ... عودتنا ههنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب ... مستجيب حين يدعى مستجاب
اين في المحفل مي يا صحاب

سائلوا النخبة من رهط الندي ... اين مي ، هل علمتم اين مي
الحديث الحلو واللحن الشجي ... والجبين الحر والوجه السني
اين ولى كوكباه ؟ اين غاب ؟

شيم غر رضيات عذاب ... وحجى ينفذ بالرأي الصواب
وذكاء المعي كالشهاب ... وجمال قدسي لا يعاب
كل هذا في التراب!آه من هذا التراب

وعندما مات العقاد نفسه رثاه اخونا الحميم الشاعر الكبير حسن كامل الصيرفي بقصيدة من الخماسيات من عين هذا البحر والوزن والقافية مكررا فيها القرار « كل هذا في التراب ! آه من هذا التراب » ، وهذه المرثية الصيرفية تجثم في ديوانه الجديد ذي الاجزاء الخمسة الذي لا يجد له ناشرا بعدرحلةفي الادب والشعر والتحقيق والجهد العلمي المضني اشرفت على نصف قرن !

وقد صدرت في الاوان الاخير طائفة جديدة من الكتب التي تدور في فلك مي ، من اطرفها الطبعة الجديدة التي صدرت في بيروت لكتاب « ابتسامات ودموع » وهي مصورة من النص الاصلي المدون بخط مي نفسها . وقد وجه اديب المهجر الكبير رسالة الى ناشر هذه الطبعة سيمون عواد قال فيها « لكن طبعتكم تضفي على الكتاب رونقا خاصا ، اذ انها من بابها الى محرابها بخط مي . فهي ، من هذا القبيل ،تحفة غنية تتيح للقارىء انيدرس مي في خطها بالاضافة الى درسها في بيانها . وخط مي ينم على اناقة متناهية في كل شيء ، وعن ذوق رفيع، واحساس مرهف ، وتنظيم دقيق في الفكر والعمل ،وطموح بغير حد الى المجد ، والى الافضل والاجمل في حياتنا من يوم ليوم » .

وصدر لطاهر الطناحي ، الذي كان من احرص الادباء على تراث مي وعلى احياء ذكراها ونشر آثارها، كتاب جديد عن مي ضم فصوله المتناثرة في مجلة «الهلال» كما صدر كتاب « الذين احبوا مي » لكامل الشناوي، وكان قد نشره على هيئة مقالات مسلسلة في جريدة «اخبار اليوم » — كما اشارت الى ذلك وداد سكاكيني ، ثم جمعت بعد موته في هذا الكتاب . كما ان اخانا الراحل المؤرخ الكبير محمود الشرقاوي خصص فصلا مسهبا من كتابه « ابراهيم ناجي الشاعر والانسان » الذي نشر بعد وفاته للحديث عن مي وادبها وقصتها ، وقد اعتمد في اغلب هذا الحديث على كتاب وداد سكاكيني.

ونعود الى كتاب « الوداد » فلا املك الا ان اكرر اعجابي الشديد به مادة ونسقا واسلوبا . لقد احيت الوداد العظيمة عصر مي، وساقت لنا شريطا سينميا ممتعا لهذه الاديبة الكبيرة التي وصفها الامير مصطفى الشهابي — عطر الله ذكراه — في محاضرة نشرها في الجزء الثاني من كتاب « محاضرات المجمع العلمي العربي » ثم اعاد نشرها في كتابه « الشذرات » بانها « كبيرة اديبات العروبة في يومنا هذا بلا منازع »، وقال عن اسمها مي « ولله ما اعذبه اسما » وقال عن ندوتها « فاذا بي في دارها وكأني في هيكل الادب الاسمى وقدس النبوغ والعبقرية ... وخيل الى انني في حضرة احدى سيدات الملأ الاعلى اللواتي كنت اقرأ عنهن في كتب كبار الادباء الفرنسيين » ، وهذا كله اتت على ذكراه السيدة وداد سكاكيني فلم يفتها شيء مما قيل في « مي » مدونا في الكتب او في المجلات القديمة او مرويا بألسنة المشافهين.

والكتاب ، بعد هذا كله ، دفاع عظيم عن هذه الاديبة الموهوبة التي ظلمتها الحياة وعتت عليها عتوا شديدا . وقد اكدت « الوداد » ان ميا كانت سجينة في المستشفى ولم تكن ابدا مهتزة العقل. وما ابرع الوداد في سوق الادلة والبراهين من اقوال الشهود ، ومن كتابات الذين عاصروا محنتها وزاروها ، بل من شهادات الاطباء العدول .

واختم هذا الفصل المستطرد بما سمعته من الذين حضروا اخر محاضرة عامة القتها مي في حياتها — وكان جمهورا لم تتسع له القاعة فتزاحم في دهاليزها واحتشد حول نوافذها وفي حديقتها — « ان هذه الخطيبة البارعة امراة كاملة العقل ، لم تقل الا حكمة خالصة ».

ولعل الذين اتهموها في عقلها كان شأنهم فلسفيا، فانطبق عليهم قول صديقي الشاعر صالح شرنوبي الذي مات وهو في الرابعة والعشرين تحت عجلات قطار الدلتا :

والعقل ينقص حين يكتمل
ومن الجنون العقل يا اختي

مصر الجديدة — وديع فلسطين

## الفراشة

●

دنيا الفراشة بالآمال عالقة
لا شيءيبهجها كالرشف فيعجل
النور سيدها ، والموت يرقبها
والطبع يدنيمن الزلاتوالفشل

ساحل العاج — ابوالهدى فؤادالاسعد


عامر محمد بحيري

# حصــاد السنـين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

## الزميـل ... الهمشري

واخيرا صدر « ديوان الهمشري » .. بعد ان جمعه ، وحققه ، وقدم له .. صديقه ، وصديقنا الشاعر الكبير الاستاذ صالح جودت ..

ولا بد ان يحمد للشاعر صالح جودت هذا الجهد الكبير الصادق ، الذي بذله ، وثابر عليه مدى سنوات وسنوات .. حتى اصدر اخيرا هذا الديوان ، الذي كادت الاحداث تلقي به في زوايا النسيان .

كما ان صالحا قام بعمل آخر ، لا يقل قيمة عن اصدار الديوان نفسه .. وهو اصدار كتاب قيم ، نشره المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة .. منذ قرابة عشر سنوات .. بعنوان « الهمشري : حياته وشعره » .

وكان صالح جودت .. صديقا وزميلا للهمشري منذ تلاقيا في مدرسة المنصورة الثانوية طالبين .. وضمتهما ندوة شعراء المنصورة التي كان يتصدرها الشاعران الكبيران الراحلان .. علي محمود طه ، والدكتور ابرهيم ناجي ..

ولكن الهمشري .. عندما قدم الى مصر .. التحق بكلية الاداب بجامعة القاهرة .. وقضى بها عامين ، زاملته منهما عاما واحدا .. وعرفته جهيرا بين شعراء الشباب ، ينبىء في الشعر بمستقبل كبير .. وكان ذلك العام ، هو عام ظهور مجلة ابولو .. فالتقيت به على صفحاتها وخاصة في ملحمته المعروفة « شاطىء الاعراق » .. كما صدرت مجلة « الرسالة » للاستاذ احمد حسن الزيات .. في ذلك العام نفسه .. فعرفت الهمشري في عددين من اعدادها الاولى ، بفقرات ترجمها من قصيدة « القرية المهجورة» .. للشاعر اوليفر جولد سميث ما زلت احفظ مطلعها ... وهو قول الهمشري :

اوبرن ! يا جنة في سفح وادينا يا نفحة السحر من فردوس ماضينا

واقيم في نفس ذلك العام .. حفل لتكريم الاستاذ الدكتور منصور فهمي ، لانتخابه عميدا للكلية .. خلفا للعميد الانجليزي سترلنج ، الذي تولى المنصب في غياب الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين عن الكلية .. للظروف السياسية المعروفة ..

ووجدت بالصدفة ان الكلية قد اختارت الهمشري ، واختارتني ليلقي كل منا قصيدة في الحفل .. وعجبت حين وجدت ان قصيدتي ، وقصيدته ـ ولم تكن قد جمعتنا صلة بعد ـ من بحر واحد ، وقافية واحدة ..

وكان الدكتور زكي مبارك رحمه الله ، حاضرا الحفل .. ولم اكن قد عرفته بعد .. ولكنه اقتبس ابياتا من قصيدتي ، وانا القيها .. ثم نشرها في البلاغ .. في مقاله الاسبوعي الذي كان يكتبه يومئذ بعنوان « الحديث ذو شجون » . وكان مطلع قصيدتي :

اشرق الصبح ، واستفاء الوجود وبدا للعيون عهد جديد
ودعا البلبل .. الفناء فغنى فشجاك الجمال والتغريد

ومنها .. وهو ما استشهد به الدكتور زكي مبارك :

رب من يفكر الفضائل في المسـ ـء .. ونكرانه عليه شهيد

وهذا البيت :

قل لهم قد اصبتم فطرة الشكـ ـر .. وزدتم كما يريد المزيد

واشرت من طرف خفي ، الى غياب الدكتور طه حسين .. وان لم يكن ذلك مستحبا في ذلك الوقت من بعضهم .. فقلت :

فاخرت بالرجال .. كلية الا داب .. من ذاك غيب .. وشهود

وختمت القصيدة ببيتين .. اثارا اهتماما وتصفيقا واستحسانا .. وبهما نجحت القصيدة ، وهما :

ما جعلنا ازمة الامر للمنصور .. حتى اته يهني .. الرشيد
فاتكلنا عليه .. وهو وكيل واعتمدناه .. وهو نعم العميد

هذا عن قصيدتي .. اما قصيدة الهمشري .. فهي كما اشهد صادقا كانت من اجمل واروع ما سمعت من شعر يومئذ .. وكانت من بحر قصيدتي وقافيتها ، ولكني لا احفظ منها شيئا .. وقد بحثت عنها في الديوان الذي اصدره اليوم صديقنا الشاعر صالح جودت .. فلم اجدها مع الاسف .. ولعل الهمشري لم يحتفظ بها بين اوراقه .. لانها من شعر المناسبات ..

ومن الصدف ايضا .. انني كنت مهتما بالشاعر

شلي ، كما كان الهمشري وغيره من شعراء الشباب .. وقد ترجمت كثيرا من الشعر الانجليزي لهذا الشاعر ولغيره .. وقد اشرت لشيء من ذلك في فصل سابق من الحصاد ، واذكر هنا ان الديوان الصادر اخيرا للهمشري ، يشتمل على ترجمة لقطعة من قصيدة « الى القمر » .. لشلي .. يقول الهمشري :

اشاحب انت من هم وتفكير — وساهم انت من ضنك وتكدير
ان رحت ترقى سماء لا اليف بها — كيما يواسيك في ترحالك النوى
تسير بين نجوم ليس يؤنسها — عمر ، ومسراك في هدى الدياجير
لم تلق عينك ما يغري انتباهتها — ولم تجد في سراها اي تغيير

وقد وجدت انني ترجمت القصيدة ذاتها .. وهي من فقرتين ، اقتصر الهمشري على ترجمة الاخيرة منهما .. وهي بأكملها كما ترجمتها في ديوان « اليخت الذهبي » .. كما يلي :

كخود تعاني الموت .. شف خمارها — عراها شحوب اذ ترنح اصفر
قد اقتادها من غرفة النوم كاسف — من العقل مخبول ، فظلت تعثر
بدا القمر الساهور ابيض حاليا — مطلا باقصى الشرق.. والليل اكدر

اصفرك الاعياء.. اذ انت في السما — تسلق عن جهد .. وللارض تنظر
تجوب بآفاق الكواكب مفردا — وما انت منها نسلك المتغير
تحول دوما مثل عين اسيفة — ترى كل شيء تافها .. حيث تبصر

وقبل ان ينتهي العام الدراسي ، كنت قد تعرفت بالهمشري ، وتصادقنا .. وكنت اقضي معظم الليالي بنادي الجامعة .. بالقاهرة .. فحضر الهمشري ذات ليلة ، قضيناها في سمر جميل .. وحدثني انه معجب بترجمتي لمكبث ، التي نشرتها ابولو في عدد يونيو ١٩٣٣ ... التي اقول فيها على لسان مكبث :

اني سئمت اليوم من — شمس الحياة النيره
وقد وددت .. هذه الدنيا .. — تزول بعسره
دقوا لها الاجراس .. — فالساعة هول خطره
يا ريح .. هيا فاعصفي — تعالي .. يا مدمره
ان كان موت .. فلا ح — الجيش يحمي اظهره

واردت ان ارد على هذا الاعجاب ، باعجاب مثله .. وكنت معجبا بكل شعر الهمشري .. ولكني قلت له : انني معجب جدا بقصيدتك الاخيرة ! فقال : واي قصيدة هي ؟.. قلت : الى جتا الفاتنة ! .. وضحكنا من قلوبنا في صفاء ..

على ان الهمشري لم يعد الى الكلية في العام التالي .. وبحثت عنه دون جدوى .. ثم علمت انه التحق محررا بمجلة التعاون في وزارة الزراعة .. وكان ذلك خسارة كبيرة للادب الا يتم الهمشري دراسته الجامعية .

وفي ذات يوم حضر الهمشري فجأة الى الكلية .. لمقابلة الاستاذ المستشرق الانجليزي باكستون .. فسلمت عليه .. وحين انصرف حدثني باكستون وكان استاذي فقال لي : ان نظام التعليم عندكم قاس اشد القسوة .. فانني لم اجد طالبا موهوبا ، ذكيا ، حريصا على العلم .. مثل الهمشري .. وهو يأتي الي حتى الان ، ليسالني عن اشياء تعن له في الشعر الانجليزي .. ولكن النظام كان يقضي لكي ينقل من السنة الاعدادية الى التخصص في قسم اللغة الانجليزية .. ان ينجح في جميع المواد .. وكان من بينها مادة الجغرافيا .. التي لم يكن يحبها .. وهكذا حيل بين طالب مجد موهوب .. وبين اتمام تعليمه كما يريد ..

والتقيت بعد ذلك بالهمشري لماما .. التقيت به في الحفل الساهر ، الذي احيته سيدة الغناء ام كلثوم ... لطلبة الادب .. في اوائل عام ١٩٣٥ .. ابتهاجا بعودة الدكتور طه حسين الى الجامعة .. وكان الحفل قد اقيم بقاعة مدرسة الليسيه ، المجاورة لقاعة ايوارت التذكارية بالجامعة الامريكية بالقاهرة .. واخذتنا نشوة الاستماع .. فكتبت في نهاية الحفل قصيدة « الشاعر والغناء » .. وقلت في ديوان « اليخت الذهبي » انها موجهة « الى احد شعراء الشباب ذكرى استماعنا للانسة المطربة ام كلثوم ».. ولم يكن احد شعراء الشباب هذا سوى الهمشري .. ولذلك اشتملت القصيدة على هذا الجو الغريب المبهم ، الذي كنا متأثرين به ، في تلك الفترة من الشباب ، اشد التأثر .. وهذه هي القصيدة :

سمعت نشيدا هب سحري لحنه — على شاطىء صم الضفاف خيالي
خفى انهمال الدمع .. اما لحنه — فضوء .. وان قومته فلآلى
قد التف في غيبوبة من غرامه — ومن ذكريات للشباب .. غوال
نظرت اليه من سمائي .. وانما — سبحت واياه ببحر خيال

فكم من شراع قد جرى الموج هينا — فمال لشط في الخيال بعيد
على صفتيه يشرد النخل في اسى — اذا هذه في الليل رجع نشيد
وما هو الا ان اثيرت مشاعري — بلحن كترنيم الصباح سعيد
يفيض بموسيقية .. عبقرية — تحية عصر للشباب .. جديد

فاما قديم اللحن .. فهو لشاعر — يغني بقلب في الوجود كبير
يجالد ايام التباريح والهوى — بغضي لحن من هواه منير
رنوت اليه وهو اصفر سابح — خيال طليق في ضلوع اسير
وقد رقرق البلور نرجس عينه — على بعد ناي .. ذي شجى وصفير

ستخلد في اللحن الخيالي نفحة — مذهبة ... من نشوة وغرام
اطير اليها عن جناحي اشعة — تخبط في اقفاصها .. كحمام
سقاني الزمان العبقري كؤوسه — غراما ، واسقيت الزمان ملامى
وانت جناح الشعروالسحر والهوى — فطر بي لدنيا.. من هدى وسلام

وكأني كنت استجمع في هذه القصيدة كل روح الشعر .. لاصف الشاعر صاحب القلب الكبير .. الذي كان هو نفسه جديرا بان يسمى « روح الشعر » ..

وكان الهمشري طيب القلب ، ودودا .. وقد لقيته بعد ذلك مرتين .. فاثنى على شعري في كل منهما ثناء جميلا سعدت له .. ففي المرة الاولى في اوائل عام ١٩٣٦ لقيته .. بعد ان نشرت الاهرام قصائد الشعراء بمناسبة نقل رفات الزعيم سعد زغلول ، الى ضريحه .. فقال ان قصيدتي كانت خير القصائد المنشورة .. باستثناء

قصيدة واحدة .. هي قصيدة الشاعر الكبير علي محمود طـه .. الذي ظهر لي انه مخلص له اشد الاخلاص ... ومعجب به كل الاعجاب .

اما المرة الثانية فكانت خلال عام ١٩٣٨ ... وكان احد الكبراء يومئذ قد تزوج .. فنشرت قصيدة اتحدث فيها عن الريف المصري، وفرحته بهذا الزواج .. فالموسج يميل في طرب .. والنورج يغني في الحقل .. وهكذا .. وعندما لقيت الهمشري ، اذا به يذكر هذه القصيدة في حماسة شديدة .. ويقول لي ان هذا هو الشعر الـذي نريـده للمستقبل .. وهو ان نمزج بالمناسبات الوطنية، حديثنا عن الريف ، والفلاح .. فنصدر حينئذ شعـرا صادقا ، خالدا .. ثم ودعني مشجعا على المضي في هذه الطريق ..

ولم يمض وقت قليل ، حتى كانت وفاة الهمشري المفاجئة .. في شهر ديسمبر من ذلك العام ١٩٣٨ ... وحينئذ اصابتني صدمة ، فبكيت لموته وحاولت ان انظم فيه كما نظم ملتون في لسيداس .. او شلي فيادونيس.. ولكـن هيهـات !

كانت القصيدة بعنوان « مات الهمشري » ..

وقد ذكرت ابياتا ثمانية من مطلعها في مقال «مدائح الموتى » .. من حصاد السنين .. فلا اعيدها .. وحسبي ان اذكر بالمطلع .. وهو :

يا طيف .. لا تبرح بوادي عبقر    ولك الخلود علـى مر الاعصر

ورحت بعد تلك الابيات الثمانية ، التي مهدت بها .. اتحدث عن مظاهر الطبيعة .. وكيف غشيها الحزن .. في الليل ، وفي البدر ، وفي الفجر ، وفي الشمس ، وعند الظهيرة ، وعند الغروب .. ومع هذه الظواهر اذكر كيف اجدها تهمس ، او ترتل ، او تهتف ، او تصيح .. بقولها : مات الهمشري ! مات الهمشري !

في الليل .. جافيت المنام، ولم ازل    اصفى لكون بالمنـام مخـدر
وجلست بالشباك ارنو ساهمـا    للحقل ، في كنف الظلام الاكدر
والنور يخفق من بعيد ضـوؤه    ويمـوت مختنقا .. بريح صرصر
فذكرت ان المـوت يمشي وحـده    في الليـل يفزعـه بخفـق المزهر
ورايته حتى مضى .. وسمعتـه    فسمعت همس الليل: مات الهمشري

في البدر..نفرت النعاس ازوده    سحرا ..على صخب السكون المقمر
فرأيت أطياف العرائس تلتـقي    وتمر من فـوق النبات الاخضـر
بيضـاء تنشـد في بياض لحونهـا    نغمـا .. تجلل بالدخان الاقتـر
مـا زال يعلو اللحن بعد خفوتـه    حتى استبان السمع: مات الهمشري

في الفجر ..قمت مع الطيور مبكرا    اصغي للحن في الرياض مبكـر
ونزلت امشي في الحديقة سادرا    كالشارد الغافي .. وكالمتـذكر
فسمعت للاطيـار في ترتيلهـــا    فوق الغصون الخضر: مات الهمشري

في الشمس وهي بهيجة راد الضحى    في عنفوان شبابـها المتبخـتر
فكرة في ان الجمـال مخـلد    رغم المنـايا الكثر .. لم يتاثر
فالارض تضحك للطبيعة لم تـزل    طربا باسراب الحسان الخطـر
الكـون مبتهج .. فكيف صبغته    بالحزن؟ قال القلب: مات الهمشري

عند الظهيرة .. والبسيطة تصطلي    نارا .. كمضطرم الجحيم مسعـر
فتحيل اقـدام الحفاة الى لظـى    يتراقصون علـى اديـم المجمـر
في هذه الالام .. فرت دمعـــة    بين اللهيب تصيح: مات الهمشري

عند الغروب .. وللسحاب تلون    في الافق.. من شفق المغيب الاحمر
والشمس تلقى في مياه سرابـــه    اسف الفراق .. بقرصها المتحدر
والارض في استقبال احلام الدجى    لهدوء ساعات المـات الاصفـر
وقطيع اغنام الرعـاة معــــرج    بالحقـل في ميقـاته المتاخـر
في هذه الاثنـــاء نادى هاتـــف    ملء الفضاء يضم : مات الهمشري

هكذا شاركت كل معالم الطبيعة ومظاهرها في الحزن على صاحب ملحمة .. شاطىء الاعـراف .. او « روح الشعر » .. كما اطلقت عليه منذ قليل .. ثم مضـت القصيدة تودع الشاعر في رحلته الاخيرة :

ذهب الشجى العبقري .. فيا له    من هاتف صـم المسامع .. منذر
اوفى كاعصار الشتاء مدويـــا    في عصفه .. فزع الخروج الاكبر
الغصن محطوم الذراع .. على دم    في الروض..من ورق الورود منثر
ومن الشباب الشاعريـن مناحـة    قبل الربيع.. على الربيع المهدر
كانت قبيل العبقريـة روحـــه    طيفـا من الاحلام .. غير مصـور
ينساب في الالحان علوي الصدى    ويذوب في الاحزان .. غير مخير
ويرود فلسفة المـات عميقـــة    كم حيرت في الدهـــر كل مفكر
يمشي على خضراء .. من اعرافه    اخذت على الدنيا جلال المظهــر
فيها القصور السامقات وتحتهـا    انهـار ... بالرحيق معطـــر
ما زال يزرع شطها.. حتى انتهى    منه الى الفردوس .. عبر المطهر

مات الهمشري في ديسمبر ١٩٣٨ .. عن ثلاثـين عاما .. ولم يقيم له حفل تأبين الا في ديسمبر ١٩٤٣ .. بعد خمس سنوات كاملة .. وقد اقيم الحفل في جمعيـة الشبان المسلمين بالقاهرة .. والقيت فيه ذات القصيدة التي ذكرتها الان .. كمـا شارك في رثائه كبار الشعراء، كان في مقدمتهم علي محمود طه ، وابرهيم ناجي ، وصالح جودت ، وحسن كامل الصيرفي ، ومحمد مصطفى حمام ... وغيرهم كثير .

ومضت السنون بعد ذلك .. وتبدلت الاحوال .. واصبح شعراء الشباب في عهد ابولو وهم يطرقون ابواب الكهولة .. ويعبرون عن قضايا الوطن الكبرى .. وظهرت قضية الفلاح ، ولو كان الهمشري على قيد الحياة .. لكان اعظم شعراء الريف ، والدعوة التعاونية ، التي كـرس لها السنوات الاخيرة القليلة ، من حياته القصيرة الخصبة النابضة .

وفي عام ١٩٦٥ .. دعيت للاشتراك في المهرجـان الفكري والثقافي ، الذي اقيم في دار ابن لقمان التاريخية بالمنصورة ، في اول يونيه من ذلك العام .. فاحسست هذا الجو الشاعري ، الذي خرج شعراء المنصـورة ، واذا بي اذكر ذلك .. واستعيد ذكـرى الزميل ... الهمشري .. فيجري اسمه مع القافية هينا ، سهـلا ، موحيا بالذكريات ..

وها انـذا في قصر الخيـال    بمجلس ناجي .. او الهمشري
اراعي الضحى في صفاء السماء    او الليل في صمتـه المقمـر

# انتظار

•

.. ورحت ليلة كان الوعد انتظر ... وقد تسمر مني السمع والبصر
الصمت أيقظ حولي كل هاجسة ... كأنما الصمت للانفاس معتصر
أود أغرق من مروا بأسئلتي ... لعل بعض جواب عند من عبروا
واستشف العبير السمح عل شذى ... يسري لصدري فاصحو.. ثم انتشر
مضى من الليل ما طالت دقائقه ... والليل لولا انتظاري.. كان يختصر
فمل حتى انشغالي.. والظلام طفى ... وكاد يخبو له في عيني الشرر
تأبى سماع ضجيج مرهق اذني ... وقد ابى ان يرى من حوله النظر
والف ألف خيال رحت ارسمه ... فقد تقاسم رأسي الظن والفكر
حتى شغلت عن الدنيا وعالمها ... وغبت عنها .. كأني مسني الخدر
فاطبق الليل اجفاني.. ورق لها ... وما درى ان فيها الجمر يستعر
يا ليت يخبرني الاحباب من عبروا ... قد مر فوق عيوني كل من عبروا

دمشق ... مصطفى عكرمة

---

على النيل .. في ظل منصورة ... تباهي بشاطئها الزهر
وتاريخها .. وهو نور العقول ... وحظ اولي العلم ، والسمر
وكم للدقهلي من وثبة ... تقل لها وثبة القسور
ودار الدقهلي مثوى الجمال ... ومهوى الرشاقة ، والمنظر
تسامى الهوى تحت ظل القنا ... ومال بها القد والسمهري
احن لاسيافها المرهفات ... حنيني الى سمرها الخطر

اصبح الهمشري اذا .. ذكرى عطرة .. من اصداء بعيدة .. واصبحت اذكره كما اذكر حلما غائما من احلام الشباب ، وابحث عن « روح الشعر » ، التي « كانت لنا » في الشباب .. و « يا ليتها دامت لنا » .. على حد قوله في قصيدة « احلام التارنجة الذابلة » .. وظهر جيل جديد من الشعراء ينكر الجيل القديم .. الذي وضع اللبنات ، وعبد طريق الشهرة والامجاد لمقبل العبقريات .. ثم توارى خلف ظلال السنين .

اين شعر الهمشري ؟ انني اعرف الكثير منه منشورا في مجلة ابولو .. التي بليت عندي اوراقها .. ولكني لا اجد هذا الشعر مجموعا في ديوان واحد .. حتى قام صالت جودت .. الصديق الاوفى ، فجمع شعر صديقه ما وسعه الجمع ، وحققه ما امكنه التحقيق .. وقدم له بكلمة موجزة ، هي بعض ما كتبه في كتابه الاول « الهمشري : حياته وشعره » .. الذي اراه في الحق خير تقديم لهذا الشعر ، وتعريف للجيل الجديد بهذا الشاعر .

ربما قلت ان المجموعة التي في يدنا الان .. لا تجمع كل ما كان للهمشري من شعر .. ودليلي على ذلك قصيدتان .. الاولى قصيدة عميد كلية الاداب ، التي شاركته مناسبتها .. والاخرى ترجمته لقصيدة « القرية المهجورة » لجولد سمث .. التي قلت انها احد العملين الكبيرين اللذين كان يعرف بهما الهمشري في بدء حياته وظهوره الشعري .. وقد نشرت منها فقرات رباعية في عددين من مجلة « الرسالة ».. في اوائل ظهورها عام ١٩٣٣ .. ومطلعها كما اوردته من الذاكرة في اول هذا المقال :

اوبرن ! يا جنة في سفح وادينا ... يا نفحة السحر من فردوس ماضينا

وربما كان اختيار صالت جودت ، الذي لم يورد غير فقرتين ، اثنتين فقط .. هو السبب في عدم ذكر بقية الفقرات .. ولكن ترجمة هذه القصيدة من اهم اعمال الهمشري ، وربما قلت ان موضوعها نفسه ، كان من اقوى الاسباب .. التي دفعت به الى الاتجاه الى الريف ، ونصرة الفلاح ، والتبشير بالحركة التعاونية فيما بعد ..

وربما عدت الى هذه القصيدة ، وغيرها من شعر الهمشري ، ومذهبه في مقال اخر .. وان كنت حين اختم هذا المقال اجد واجبا ان ازجي – مع كثيرين غيري – خالص الشكر .. للشاعر الصديق الوفي .. الذي كان مثال الوفاء لصديقه ... بعد جيل من الزمان يمضي على رحيله .

مصر الجديدة ... عامر محمد بحيري

شعر ، ذلك اليوم ، بتعب لم يعهده من قبل ، فترك المخل معلقا بين الصخرة التي كان يحاول قلعها ، والحجر الذي وضعه ملاصقا للصخرة متخذا منه نقطة ارتكاز للخل ـ ومسح عرقه بمنشفة كانت لا تفارقه ـ وذهب الى اقرب شجرة فاسند ظهره الى جذعها ، وتنفس ملء رئتيه ، بعد ما وضع فروته القصيرة ( الزنارية ) على كتفيه ليحمي نفسه من « ضربة البرد » .

عشرون عاما مرت عليه وهو يعمل في هذا الكرم ـ بذل كثيرا من وقته وماله ليشتري هذه الارض الطيبة القريبة من مسكنه في احد اطراف القرية ـ بنى حواليها جدارا من الحجارة السوداء الكثيرة في المنطقة ، بناه بارتفاع اكثر من مترين ليحمي الكرمة وسواها من الاشجار من اعتداءات البدو عليها يطعمونها مواشيهم قبل ان تثمر ، ويسرقون ثمارها اذا هي سلمت منهم فاثمرت .

ولم يكن يساعده في البناء احد ، غير زوجته . اما اولاده فكانوا صغارا ـ ولكنهم كانوا يعاونون والديهم بان يناولوهما بعض الحجارة الصغيرة ، او يحملوا اليهما الماء والطعام ، او ينوبوا عن والدتهم بالهاء الرضيع من اخوتهم عندما يفيق من نومه ويصرخ ، ريثما تنجز ما بيدها من عمل وتسرع اليه .

وبدأ يسأل نفسه ماذا يعمل ؟ وما هي نتيجة عمله ؟ وجره هذا السؤال الى استعراض شريط حياته الكادحة المليئة نشاطا وانتاجا ، حياته لا تتناسب فصولها السابقة وخاتمتها التي بدأت منذ سنوات قلائل .

يذكر انه قدم هذه القرية صبيا يرافق والديه واخاه واختيه ـ وكان اصرار والده على الانتقال بالعائلة من السويداء الى القرية قد ادى الى انتزاعه من المدرسة وهو لما يتجاوز الثانية عشرة من عمره ـ وقد كان الاول بين جميع تلاميذها ، وقد انهى كل منهاجها الدراسي البدائي ـ فاقترح له استاذ المدرسة ، وهو صاحبها في آن واحد ، ان يرسله الى احدى مدارس لبنان ليتمم دراسته . ولكن والدته قاومت هذه الفكرة ورفضت ان يفارقها بكرها الحبيب مهما يكن السبب . ولم يقف والده من هذه المسألة الموقف الحازم الجدير به ـ الا ان للشيخ المسكين عذره ، فهو يذكر انه هاجر من لبنان اثر حوادث عام ١٨٦٠ المشؤومة وبسببها ، وهو لا يحمل عن لبنان غير ذكريات الحرب الطائفية .

كان على الصبي ان يرضى بالامر الواقع ، وان يصبح رجلا قبل




بقلم سعيد ابو الحسن

الوقت ، فوالده يشيخ يوما عن يوم ، وكل مظاهره تدل على نهايته القريبة ، وليس هناك من يعيل الاسرة غيره ـ فبدأ العمل مبكرا ، يعمل بالزراعة لدى اقاربه المقيمين في القرية قبله ، او لدى سواهم من اهالي القرية . ويشهد في اوائل حياته العملية ثورة الفلاحين في منطقته على المالكين من اجل الغاء نظام الاقطاع ومن اجل تملك الارض والاستقرار فيها والحد من تسلط الاقطاعيين والقضاء على ما كان لهم من عادة تهجير الفلاحين وتسخيرهم




والاستيلاء على ما يريدون من اموالهم ، وحتى قتلهم في بعض الاحيان دون خوف من عقاب .

وراى كيف استنجد الاقطاعيون بالسلطة العثمانية فجردت جيوشها لحمايتهم ، وكيف قام الشعب يقاتل الجيوش الزاحفة ، واشترك في معركة « خراب عرمان » المشهورة التي ابيد فيها جيش تركي كامل ، وكان عمره اذ ذاك لا يتجاوز الثامنة عشرة .

ويذكر انما ترتب على هذه المعركة من نتائج كان له ابعد الاثر في حياته وحياة اسرته من بعده . فلقد صعب على تركية ان تهزم هذه الهزيمة النكراء فجردت جيشا ضخما هاجمت به الجبل وافتتحته من جديد . ونفت اكثر من ثلاثمائة من رجاله المحاربين كان هو من بينهم . وكان منفاه مدينة طرابلس الليبية .

ويذكر حياة المنفى ، يذكر انه قضى نحوا من اربع سنوات في هذه المدينة الجميلة يذكر كيف كان يعامل هو ورفاقه معاملة استعلاء واضطهاد من قبل بعض الضباط الاتراك ـ لقد نفوهم والحقوهم بالقطعات العسكرية دون ان يمنحوهم حقوق الجنود ، وكانوا لا يتركون فرصة تمر دون ان يذكروهم بانهم محكومون ، وبانهم غير جديرين بالحياة . وكانوا يوقعون المعارك بينهم وبين الجنود الالبانيين ، او الاكراد او سواهم ، حتى اذا شعروا بتفوق العرب في اي اشتباك تدخلوا فيه بانفسهم وراحوا يوسعون العرب ضربا وركلا . وهو ما يزال يذكر ذلك الضابط الذي كان غير راض عن شجاعته وجرأته الادبية فراح يسأله يوما :

« العرب افضل ام الترك ؟ »

ولما اجابه بان العرب افضل وبانه لو كان الترك افضل لكان النبي صلى الله عليه وسلم منهم بدلا من أن يكون عربيا ، قام يصفعه بفظاظة الاجلاف المعهودة ـ ولكن الرجل رد له الصفعة ، فتقع بينه وبين عدة

ضباط ، خفوا لنجدة زميلهم ،معركة **حامية الوطيس** ، لم يخرج منها الا وجسمه كله رضوض وجروح .

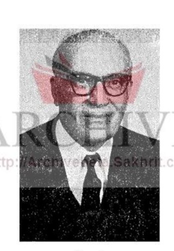
ولا يكتفي الضباط بهذا العمل الوحشي بل يقررون الزامه ببعض الاعمال المنزلية كالطبخ وسواه . فيرفض الانصياع ويقرر الهرب **ويهرب فعلا مع اربعة من رفاقه** باتجاه تونس . ولكن قافلة من **قوافل البدو** تلقي القبض عليهم وتعيدهم الى طرابلس . فيطلب مقابلة القائد الاعلى للجيش هناك ويشرح له الوضع ، ويقول له : « انك مسؤول عن حياتي فأنا لا شك منتحر **اذا لم انصف** » .

ويقرا القائد **في عينيه التصميم العنيد** ، فيصدر أمره باعفائه من كل عمل غير عسكري ، ويلحقه بحرسه الخاص المؤلف من الفرسان . ويقضي ما تبقى من مدة النفي **في عمله** هذا ، يعامله القائد كأحد افراد عائلته وقد افاد من هذا الوضع فتعلم **اللغة التركية واتقنها** ، واكب على مطالعة ما استطاع الحصول عليه من الكتب العربية ، فتكونت لديه مجموعة من المعلومات والاراء جعلته يتفوق على اترابه في مجالات الحياة المختلفة .

وصدر العفو عن المنفيين ، فعاد الى وطنه مع مطلع هذا القرن ، وقضى بضع سنوات يعمل بالزراعة حتى جمع مبلغا من المال يكفي لزواجه ولمزاولة التجارة . وكانت لدى احد اقاربه صبية عرفها واعجبته فأحبها . وخطبها فتزوجا . وفتح **لنفسه مخزنا** يبيع فيه جميع ما يحتاج اليه اهل القرية . ونجح في تجارته واشتهر في استقامته ونشاطه وصلاحه من جميع الوجوه — ولم يطل به الزمن حتى بنى بيتا جميلا خارج القرية — بين الكروم — واشترى عدة قطع من الارض وقطيعا من الغنم — ورأى خلال تلك الفترة من حياته معارك قاسية خاضها ابناء الجبل ضد الاتراك واهمها معارك سنة ١٩١٠ ضد الجيش الضخم الذي كان يقوده سامي باشا الفاروقي ... **معارك في الكفر** ، وقنوات وشهبة .

وشهد معركة الثار التي خاضها العرب ضد الاتراك ابتداء من عام ١٩١٦ ودخل دمشق فيمن دخلها من الفرسان بقيادة الامير فيصل بن الحسين عام ١٩١٨ .

وشهد الاحتلال الفرنسي . والثورات المتتابعة على الفرنسيين، واشترك في معارك الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ وتألم كثيرا لمساوىء القيادة في تلك



بسعيد ابو الحسن

الثورة ، مقابل البطولة الاسطورية التي تحلى بها المناضلون من ابناء الشعب ، وشهد القافلة الكبرى من الشهداء من ابناء منطقته ، **من** ابناء قريته ، ولاسيما من اقاربه ، وكان يعتز بان قريته قدمت فداء للوطن اكثر من نصف رجالها وكامل ثروتها المنقولة من حيوان وجماد حتى خلت بيوت كثيرة من الرجال خلوا تاما . وهو يذكر كيف عاد وزوجته واولاده صيف ١٩٢٦ فلم يجد في بيته فراشا ولا ماعونا ،وقد نهبت اغنامه ، وقتلت الطائرات افراسه فاضطر الى بيع القليل المتبقي لديه من حيوان لينفق على عائلته التي صارت مؤلفة من زوجة واولادهما الثمانية . ولم يبق لديه ما يتجر به ، وغزا الجراد البلاد في اعقاب الثورة ثلاث سنوات متتالية ذاق الشعب خلالها من العذاب والويلات ما لا يوصف . هذا فضلا عن تنكيل الفرنسيين بعد اعادة الاحتلال وعن ضروب الاضطهاد ولتسخير ، وعن اذلال المواطنين بعد تجريدهم من كل سلاح والزامهم بالغرامات الباهظة والضرائب الفادحة .

وكان هذا الكرم الذي يعمل فيه الان خير ما يملك — اشتراه على دفعتين : قسما مغروسا كرمة ، وقسما سليخا حول نصفه الى كرم ايضا والنصف الثاني ابقاه سليخا للمزروعات الشتوية والصيفية لعملية المختلفة . وكان قد سيجه — بجدار الحجر الذي وصفنا وراح ينقي ارضه من الصخور ، يقتلعها صخرة اثر صخرة ثم يكسرها وينقلها الى هضبة صخرية في احد جوانب الكرم تعرف باسم « الرقة » وكانت لديه مجموعة الادوات اللازمة لاقتلاع الصخور وتكسيرها وتهذيبها ونحتها ، مجموعة تركها له البناؤون الشويريون بعد ما فرغوا من بناء بيته ، كان لديه المخل او الريشة لقلع الصخرة ، ولديه الاسافين لتجزئتها قبل القلع او بعده ، ولديه المهدة للتكسير ، ولديه القطاعة والبيك والترتبيك لحفر مكان الاسافين والتهذيب والنحت .

كان يعلم ان المساحة التي يكسبها باقتلاع الصخور ليست شيئا يذكر، ولا تساوي التعب الذي يتحمله من اجلها . ولكنه كان يعشق الارض ولا يطيق ان يرى فيها شوكة او صخرة او اية نبتة ضارة . كان يريدها

نظيفة ، طاهرة ، تتنفس ملء رئتيها هواء نقيا مخصبا ، وتبتلع من الماء واشعة الشمس الكمية التي تحتاج اليها دونما عائق او طفيلي . كان يعشقها ويعرف انها الوحيدة التي تخلص له الى الابد ، الوحيدة التي تفيض عرفانا فتعطي اكثر مما تأخذ، في عفوية مدهشة ودونما منة ، او تعب ، او تذمر . كان يرى في عنقود العنب ، او سنبلة القمح ، اوالبطيخة او حبة البندورة ، او التفاحة ، او التينة ، حياة تتجاوز المادة وتتحول الى حمرة في الخدود ، وطاقة في الجسد والروح ، ووميض في العيون ومضاء في العزيمة تهون امامها كل مصاعب الحياة ، وتندحر كل الشرور .

وكانت زوجته والواعون من اولاده يعرفون شدة تعلقه بالارض ، يعرفون مدى حبه لها . لذلك لم يدهش احد منهم عندما رأوه بعد هذه الجلسة الحالمة ، يصعد الى الرقة ، ويخطط مربعا ، ثم يبدأ يقيم على هذا المربع بناء من هذه الصخور المستخرجة من قلب الارض ، حجرة مغلقة ذات جدران كثيفة سدت ثقوبها بالحجارة الصغيرة والتراب . وهم يساعدونه في عمله هذا صامتين ..

واخذ البناء يرتفع يوما بعد يوم حتى بلغ الحد الذي اراده . وعند ذلك بدأ ينتقي له مجموعة من الحجارة الرقيقة المستطيلة ليجعل منها سقفا ، فاحسن البيوت مقاومة للامطار والعواصف واكثرها اعتدال جو ، هي هذه البيوت المبنيةبالحجر المسقوفة بالحجر ايضا ، ولهذا كانت واسعة الانتشار في تلك المنطقة البركانية ، ذات الصخور البازلتية السوداء القابلة لان تأخذ مختلف المقاييس والاشكال . واخذ السقف يتكامل . اخذت فتحة النور تضيق شيئا فشيئا حتى اصبحت محصورة في دائرة ضيقة لا تحتاج الى اكثر من حجر واحد ، حجر مستدير يوضع في هذه الفتحة فيسدها وتمحي بقعة النور التي كانت ما تزال تضيء ارض الحجرة ، ويخيم الظلام الى الابد ، ظلام ثقيل موحش مفعم بالصقيع ، تنتشر خلاله رائحة التراب والحجارة ، وشيء من رائحة الموت والعدم .

وكان يرجو ان يعود في صباح اليوم التالي ليرفع بلاطة وجدها قرب الحجرة ويكمل بها السقف ، يسد فتحة النور . ولكنه حاول ان يغادر فراشه فلم يستطع لقد عجز هذا الجسد الجميل الجبار عن الحركة : هذا الجسد الذي لم يكن يفوقه قوة الا الروح التي تحركه وتخوض معه معركة الحياة بخيرها وشرها ، بجمالها وقبحها ، بانتصاراتها وهزائمها ، فيعمل هذا الانسان في شجاعة واقدام وينتج اكثر من عشرة رجال مجتمعين ، ويظل بطلا مقداما في اشد ساعات العسر قسوة وشراسة . وها هو ذا لاول مرة في حياته يعجز عن مغادرة الفراش . وكانت له نظرية شخصية في الفراش والنوم والراحة ، كانت ساعات نومه محدودة ، فهو لا يسهر كثيرا ولكنه يستيقظ دائما قبل الفجر ويقضي نهاره كله منصرفا الى عمله عدا اوقات الاكل ، وعدا الامسيات واوائل السهرة التي كان يقضيها الى جانب قهوته ، يتناول منها رشفة بعد رشفة ، متحدثا الى زوجته واولاده الذين يشاركونه هذه المتعة ، او الى من يأتيه من زائرين او ضيوف .

لاول مرة في حياته يشعر بهذا الثقل في جسمه ، انه عاجز عن اتيان اية حركة ، انه ملتصق بفراشه وهو كاره لهذا الفراش اشد الكره . تقوم زوجته والكبار من اولاده بنقله من زاوية في الغرفة الى زاوية اخرى ، او من هذه الغرفة الى غرفة اخرى في الدار حسب تنقل الشمس وتبدل الجو تبعا لذلك . ولكنه مستغرب لهذا الذي يصيبه فجأة ودون مقدمات . ان حاله تشبه حالة الشيء المشدود الى الارض بحبال معدنية لا سبيل الى قطعها او الافلات منها ، انه ليشعر ان في جسده كمية كبيرة من الرصاص ثقيلة ، تقعده عن كل حركة ، محرقة لا تفتأ تكوي جنباته من داخل بلا انقطاع ولا هوادة ، لاصقة بكل خلية من خلايا جسمه فلا يمكن انتزاعها او التخلص منها باي شكل .

واخذت الايام تمر بطيئة ، طويلة والليالي تتتابع اثقل واطول . اذا استطاع ان يغمض عينيه بضعدقائق فقط عد ذلك نعمة من اكبر النعم ، وان تمكن من نسيان الم الممض ثواني معدودات ، اعتبر هذا فضلا من ربه لا يكافأ . وكان مؤمنا صبورا ، يتحمل الالم بلا تذمر ولا انين ، يتحمله في صمت مهيب ولكن الالم كان يطل من عينيه كلما فتحهما! ويبدو جليا على صفحة الجبين الحامل ، في اخاديده العميقة المعبرة تاريخ حياة حافلة بالكدح والكفاح غنية بالتجارب مترعة بالاسى .

وكان اكبر ابنائه طالبا يوشك ان يحصل على الشهادة الثانوية وكان يقضي عطلته الصيفية في القرية وكان يؤلمه ان يرى والده في هذه الحالة لا يملك وسيلة لاسعافه : فلا طبيب في القرية ولا في قاعدة القضاء . ولا يستطيع نقله الى دمشق او بيروت ، بل هو لا يملك نفقات نقله حتى الى السويداءقاعدة المنطقة التي جعل منها الفرنسيون دويلة ، ثم منطقة مستقلة استقلالا ذاتيا ، ولكنه كان يشعر بانه لا بد من عمل شيء ، لا بد من محاولة جدية لانقاذ والده ، وكان يحب والده ، كما لا يحب ابن اباه ، وكما لا يحب احدا آخر في العالم كله. كان نسخة ثانية عن هذا الوالد . كان يذكر له حدبه وكفاحه ورجولته . كان فخورا باخلاقه العالية ، بعفته المشهورة ، بمروءته وترفعه عن كل

ما يشين . كان يذكر له تضحياته اللامحدودة من اجل زوجته واولاده، وكان معجبا به من جميع الوجوه حتى انه كان يقتدى به في كل شيء ، ويتخذه مثلا اعلى له في كل شأن من شؤون الحياة ، كان يجعل من شخصيته صورة امينة عن شخصية والده . وقد قامت بينه وبين والده علاقة روحية فريدة ، يشعر احدهما بما يدور في ذهن الاخر او نفسه عن بعد ، دونما حاجة الى كلام ، او شرح . حتى ان الولد كتب الى والده من المدرسة ، اواخر الربيع ، يخبره بقلقه الزائد بسبب من حلم رآه في احدى الليالي : فقد وجد نفسه امام دراهم وهي تحترق ، ولم يستطع الدخول اليها او اطفاء الحريق الذي اتى عليها كلها امام عينيه . وطمأنه والده في جوابه . ونصح له بالا يهتم بالاحلام ، فهي هواجس لا نصيب لها من الحقيقة ، وعليه ان يهتم بدروسه فقط .

لكن الولد لا يستطيع ان يرى والده على هذه الحال دون ان يربط بين هذا الامر والحلم الي رآهوسجله في رسالته . وهو لا يستطيع ان يقف مكتوف اليدين امام هذا الواقع القاسي .

وفاتح والدته في الامر آفضى اليها بما في نفسه من خوف على حياة والده ، وقال لها انه لا بد من محاولة لانقاذه . فأجابته وهي تكفكف دموعا سخية اخذت تتساقط من عينيها لتنفس عن نفس مترعة بالالم المكبوت ، بانها ليست اقل قلقا واهتماما منه . ولكن الدهر المشؤوم الذي جرد هذه الاسرة من كل ما تملك ، كما جرد كل العائلات في الجبل تقريبا ، لم يبق لها ما تنفقه ، فقال لامه :

ـ « ما رأيك في ان نقترض مبلغا من المال من احد اقاربنا ، نرده اليه بعد الحصاد » .

ـ ولكن الحبوب لا قيمة لها ،وكل ما نحصل عليه من الغلة يكاد لايكفي لمؤونتنا وبذر ارضنا للموسم المقبل وحتى لو استغنينا عن قسم من مؤونتنا ، او من بذارنا ، ونحن على استعداد للاستغناء ، فان الثمن البخس الذي تباع به الحبوب لا يشجع اي قريب او صديق على تسليفنا المبلغ اللازم وليس في هذه الدنيا احد يعطي لوجه الله . فاذا لم يكن اقرب الاقرباء مطمئنا الى امكان استرداد ماله فانه لا يقرضه ، ولو كان الغرض من الاقراض انقاذ حياة قريب اخر يفترض ان يكون عزيزا على كل من يعرفه .

ـ مع ذلك جربي ، يا امي ، جربي ثم نرى ما يكون من امر .

وجربت الام . جربت ، طافت على الاقارب الالزمين ورجعت لا تحمل الا الاسى في فؤادها والدموع الغزيرة الحرى تنساب من عينيها .

واطرق الولد مليا ثم هب واقفا ، مصمما على امر ، وخرج من البيت لا يلوي على شيء . ذهب الى احد الاهلين ، الى واحد من هؤلاء الذين يمتصون ثروة الارياف في بطء واصرار وبلا رحمة . يبدأون تجارتهم بقروش معدودات ثم تزداد قروشهم وتتحول الى ليرات ، والليرات الى مئات ، والمئات الى الوف ، بينما تتناقص موجودات القرية وتتحول من الوف الى مئات ، ومن مئات الى ليرات ، ومن ليرات الى قروش ومن قروش الى لا شيء . وصاحب الالوف الذي اصبح لا يملك شيئا لا يبقى له مكان في الريف ، فيهاجر الى حيث يستطيع ان يتعاطى اي عمل في سبيل لقمة العيش ، بعيدا عن عيون عارفيه ، بعيدا عن ذكريات العز في مسقط رأسه ، صائنا ماء وجهه ، محافظا على بقية من كرامة الانسان في نفسه .

ذهب الى واحد من هؤلاء ، وهو لا يستصعب امرا ولا يتهيب شرطا. وقابله الشخص في عبوس واستعلاء. ولكنه ، يعلم الله ، وجده اقرب الى نفسه من جميع الاقارب . لانه لبى طلبه ، فأسلفه المبلغ الذي يريد ، مشترطا عليه الا تخرج من البيدر حبة واحدة قبل ان يستوفي مقابل ماله كذا مدا من الحنطة ، كمية حددها في تلك الساعة ، ساعة الضرورة الملجئة ، والاسعار في ادنى درجاتها السنوية . وكان في منتهى السعادة وراحة الضمير ، عندما استطاع ان ينقل والده بسيارة الى السويداء ويدخله المستشفى . وقام كبير الاطباء ،وكان فرنسيا له شهرة واسعة مستحقة ، ففحص المريض فحصا دقيقا ،متأنيا، شاملا ، ثم اشار الى الولد ان يتبعه الى خارج الغرفة ، ففعل . وهناك في الممر الضيق المضاء نصف اضاءة، قال الطبيب في لهجة المؤاسي ، الكبير القلب :

ـ اسمع يا بني . انا ارى انك رجل واع ، تدرك المسؤولية ،وتواجه مشاكل الحياة مواجهة الشجاع ، الذي يعلم ان الاضطراب والتأثر الشديد وكل العواطف لا تقدم ولا تؤخر وعلى هذا الاعتبار يؤسفني ان اقول لك ان والدك مصاب بسرطان في الكبد ، وان هذا المرض في الدرجة التي هو فيها الان غير قابل للشفاء . فوالدك ضعيف الجسم لا يتحمل عملية جراحية ، مع ان هذه العملية ، حتى في احسن الاحتمالات لا تنجح ، الا مرة من مائة . وليس في قدرتك ، ولا في قدرة الحكومة الحصول على الدواء الوحيد الممكن استعماله في هذه الحالة وهو الراديوم . وانا ارى ان امام والدك خمسة عشر يوما على الاكثر ، سيعيشها على هذه الحال من الضعف والالم الهادىء الثقيل . وسأعطيك له من الادوية ما يعينه على تحمل آلامه قدر المستطاع ، وستقول له ان هذه الادوية كفيلة بشفائه . وتحرص على الا يشعر بانك تعرف السر الرهيب ، وتأخذ والدك ليقضي

# قارب النغم

•

اي الحاني ساكنة … اي نعمائي والالم
انت والحب وان نرتوي … منتهى الاشواق والكرم
آه يا سمراء ، يا وجعا … طيبا يدعو الى القمم
آه يا سمراء … وانفلتت … من يدي تسال ما حلمي
حلمي اصنع من شعرها … وشذاه قارب النغم

حلب … علي الزبق

اخر ايامه بين والدتك واخوتك . ثم كرر اسفه ، وربت بيده على كتفي الولد ، واوصى احد الموظفين باعطائه الادوية المتفق عليها وانصرف .

وظل الولد مسمرا بضع دقائق . ولم يفق من شروده الا على صوت احد الممرضين وهو يخاطبه ليسلمه الادوية .

وخلال تلك الدقائق القليلة شعر الولد بانه تحول تحولا جذريا كاملا ، شعر بانه اصبح رجلا ناضجا مسؤولا ، جديرا بحمل سر فظيع رهيب تنوء بحمله الجبال . ولكنه لم يكن يدري ان وجهه كان يعبر عن كل هذا التحول وان اخاديد عميقة ارتسمت على صفحة جبهته الغضة في تلك اللحظة . ولهذا لم يدرك لماذا شعر والده بشيء جديد فيه عندما عاد اليه يحمل الدواء ، ويبلغه ان الطبيب كبير الامل في الشفاء ، وان تناول هذه الادوية في البيت يغني عن البقاء في المستشفى . فلقد اجابه والده :

ــ توكلنا على الله ، أوتحسبني اخشى الموت يا ولدي ؟ لتكن مشيئة الله ! افعل ما اشار به الطبيب . قالها واطبق عينيه الجميلتين الجبارتين على دموع ما رآها احد في عينيه طوال عمره .

وفي القرية صار الولد يحسب الايام والليالي ملازما فراش والده لا يفارقه لحظة واحدة واطلع والدته على الحقيقة لكيلا تصاب بصدمة مفاجئة فيما بعد . فكانت المسكينة تبكي في صمت كلما اتيح لها أن تفعل ، بعيدا عن عيني زوجها .

وفي اليوم الثالث عشر من تاريخ الرجوع الى القرية ، بدا على المريض تحسن مفاجيء وقال مخاطبا زوجته وابنه :

ــ انني اشعر بحاجة شديدة الى الخروج ، الى تنفس الهواء الطلق . كم انا مشوق الى رؤية الكرم ، الى الجلوس بين دواليه ولو بضع دقائق ! هيا احملوني الى هناك .

ولم يكن من المعقول ان ترد الزوجة والولد هذا الطلب ، لانهما كانا يعلمان انه من الرغبات الاخيرة المقدسة .

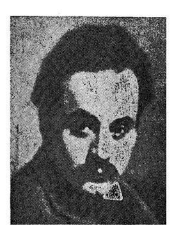
ونقلاه متكئا على كتفيهما الى الكرم ، قبيل الغروب ، وكان الهواء لطيفا منعشا ، ويا لمنظر الدوالي في الجبال في هذه الامسيات من النصف الاول من ايلول ، وهي مثقلة بعناقيدها الناضجة ، المتدفقة حياة وجمالا ، لآليء من جميع الالوان والاشكال ، والاحجام ، تراكم بعضها فوق بعض ، وارتمى بعضها الى جانب بعض ، كانما هي في سباق الى تكوين نغمات ساحرة في سمفونية عالمية مسكرة .

وبعد ان القى الوالد نظرة شاملة احاطت بالكرم كله طلب ان ينقل الى فوق ، الى « الرقة » ، الى جانب الحجرة . وهناك قال لابنه :

ــ اترى هذا الحجر ، هناك ؟ لقد اعددته لاسد به آخر طاقة في سقف هذه الحجرة خذه وضعه في المكان المعد له ، فلا يجوز ان يجيء ساكن الغرفة اليها قبل ان يكتمل سقفها !

ونفذ الولد رغبة والده بينما كانت الدموع تتدفق من اعين الجميع . وعادوا الى البيت . وامضى الوالد ليلتيه الاخيرتين مطمئنا لانه اشرف بنفسه على وضع الحجر الاخير الذي كان يشغل باله ، مطمئنا الى ان المكان اصبح صالحا لاستقبال هذا الجسد حتى يتحول الى جزء لا يتجزأ من تربة هذا الكرم الطيبة الغالية .. !

دمشق … سعيد ابو الحسن



جبران خليل جبران

# جبران خليل جبران والارز

بقلم الدكتور سهيل بديع بشروئي

* * *

كانت بشري وما يحيط بها من ربوع في شمالي لبنان مرتعا لصبا جبران ، وكانت مسرحا لشبابه ، ومجالا لبواكير شعره . وكانت غابة الارز المقدسة تهيمن على تلك الانحاء. وعندما كان جبران في لبنان ايام الدراسة ، كان يقضي اشهر الصيف في بشري، فلما هاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٤ اصبح هذا الجزء من لبنان محطا لاشواقه ومنبعا لالهامه لا ينضب ولا يغور :

... وانا ايضا اذكر تلك البقعة الجميلة من شمال لبنان ، فما اغمضت عيني عن هذا المحيط ، الا رأيت تلك الاودية المملوءة سحرا ورهبة ، وتلك الجبال المتعالية بالمجد والعظمة نحو العلاء . « الاجنحة المتكسرة » وكانت الربوع المحيطة ببشري تفتن عقل جبران وتهيج احلامه: شجرات الارز العتيقة ، ووادي قاديشا الساحر ، والعيون والينابيع والشلالات ولا حصر لها ، وصنين وفم الميزاب في المؤخرة ... يوحيان بالهيبة والوقار ، وانهما ليهيمنان على البحر وعلى السماء . ذلك هو المشهد الذي اضرمَ من الشاعر عقله في بادىء الامر ، وتلك هي بشري التي تبدو وكأنها لم تصبها بعد تلك القوى التي لا تفتأ تمسح عن اميركا بهجة الريف .

فنحن الذين صرفوا معظم العمر في المدن الآهلة نكاد لا نعرف شيئا عن معيشة سكان القرى والمزارع المنزوية في لبنان ، قد سرنا مع تيار المدنية الحديثة حتى نسينا او تناسينا فلسفة تلك الحياة الجميلة البسيطة المملوءة طهرا ونقاوة ، تلك الحياة التي اذا ما تأملناها، وجدناها مبتسمة في الربيع ، مثقلة في الصيف ، مستغلة في الخريف ، مرتاحة في الشتاء ، متشبهة بامنا الطبيعة في كل ادوارها . فنحن اكثر من القرويين مالا وهم اشرف منا نفوسا . نحن نزرع كثيرا ولا نحصد شيئا ، اما هم فيحصدون ما يزرعون . نحن عبيد مطامعنا وهم ابناء قناعتهم . نحن نشرب كأس الحياة ممزوجة بمرارة اليأس والخوف والملل،وهم يرتشفونها صافية . «عرائس المروج»

كانت ذكريات بشري والريف اللبناني تملأ رسائل جبران ، وتفعم احاديثه مع اصدقائه ، وتضفي على كل ما يكتبه مختلف الالوان . وقد بقيت بشري والارز مطبوعين في خياله حتى آخر لحظة من حياته :

واجمل ما في هذه الحياة ... هو ان ارواحنا تبقى خفاقة مرفرفة فوق الاماكن التي تمتعنا فيها بشيء من اللذة . واما من الذين يحفظون ذكرى الاشياء مهما كانت بعيدة ودقيقة ولا يدعون خيالا من خيالاتها يضمحل مع الضباب وقد يكون احتفاظي باشباح الايام الغابرة سببا لكآبتي وانقباضي في بعض الاحايين ، ولكني لو خيرت لما ابدلت باحزان قلبي افراح العالم كله «رسائل جبران».

انه ليسعدني في تلك الجبال والربى ، وبين تلك العيون والشلالات ، وفي تلك الايك متمتعا « بغبطة الحرية » تملأ الاخيلة من طفولته والاحلام . بالنسبة اليه كان ذلك زمانا كانت فيه الطبيعة معلمة ابن آدم ، والانسانية كتابه ، والحياة مدرسته . « كل شيء كان يؤدي رسالته : الكهوف البعيدة ترجع صدى اناشيد التسبيح والانتصار ،والضباب والسحاب ، والارض والثلج ، والطير والوحش ، والزهر والشجر والورق ، كلها تنطق، بكلمة الحياة . لقد دعي الى وليمة الحياة الكبرى فاستفاقت القرى المتكئة بهدوء وسكينة على كتفي الوادي وترنمت اجراس الكنائس وملأت الاثير نداءمستحبا معلنة بدء صلاة الصباح ، فارجعت الكهوف صدى رنينها، كأن الطبيعة باسرها قامت مصلية .»

كان عالم طفولته مليئا بالصمت ، حيث كان يسمع اناشيد العصور وترانيم الجلد تبوح باسرار الغيب . لم يؤخذ جبران بمكان كما اخذ بهذا المكان . فلقد كانت ربوع الارز وما جاورها تتحد بالتاريخ والاساطير اتحادا حميما ، وكانت مسرحا لتلك المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين ... ومن كان يقاتلها من الانس . ففي جوار الارز نشأت المدنيات منذ ما قبل التاريخ ، ليتبعها الفينيقيون والمصريون القدماء والكلدانيون والاشوريون والاغريق والرومان والعرب :

قد سرت في الاودية اخيلة الاجيال الغابرة ، وحامت على الروابي ارواح الملوك والانبياء ، فانثنت فكرتي نحو

مسارح الذكرى وارتني عظائم الكلدانيين وفخامة الاشوريين ونبالة العرب « دمعة وابتسامة ».

كيف يمكن جبران ان تفوته اهمية تلك الربوع، وهو الذي نشأ مارونيا كاثوليكيا ملما بالكتاب المقدس، وكيف يمكنه ان ينسى ذلك التبجيل الذي احاطت به النصوص المقدسة لبنان والارز عند ذكرها لهما، وكيف يمكنه ان ينسى ذلك البناء الرمزي الذي جاء به هذا الذكر تعبيرا عن القوة، ودلالة على الخلود ؟ ان صرخة نبي المزامير في مزمور يسبح به الرب لترتبط شجرة الارز بهذه الارض، ولتربطهما معا بالله الى ابد الدهر : « تشبع اشجار الرب ارز لبنان الذي نصبه ». انها التوراة، في غير هذا الموضع كذلك، تجعل من اسم لبنان، مسقط راس جبران، اسما مرادفا للجمال : « طلعته كلبنان، فتى كالارز .»

لقد احب جبران وطنه الجميل هذا منذ نعومة اظافره، ولقد نما هذا الحب في قلبه عبر السنين، واصبح وجده الاكبر في الحياة، واخذ هذا الحب في قلبه ينمو ويتسع حتى احتوى جميع العالمين .

اتشبب بذكر مسقط راسي واشتاق الى بيت ربيت فيه ... احب مسقط راسي ببعض محبتي لبلادي، واحب بلادي بقسم من محبتي لارض وطني . « دمعة وابتسامة»

واذا بلبنان والارز، في نظر جبران، سيان، كل يدل على ما يدل عليه الاخر . لم يقدرهما جبران لما هما عليهما في ذاتهما، وانما قدرهما لما يدلان عليه، ويوحيان به، ويشيران اليه . لم يكن لبنان، في نظره، اسما لجبل من الجبال، وانما كان « لفظة شعرية لا اسم جبل» . انه لقادر على ان يوحي بامتدادات من المعاني تكاد لا تحد.
اما كلمة الارز فلقد اصبحت عنده تدل على ما يسميه « دوام الحياة »، فاذا هي تثير فيه توقا روحيا اشبه شيء بالنشوة الدينية :

« كان يسوع شاعرا، وكان يرى لعيوننا ويسمع لاذاننا، وكلماتنا الصامتة كانت على شفتيه، واصابعه كانت تلامس ما لم نقدر نحن ان نحس به . وكانت تطير من قلبه عصافير مغردة لا عديد لها بعضها الى الشمال وبعضها الى الجنوب، وكانت الازهار اللطيفة في جوانب التلال تسدد خطواته نحو السموات .

كثيرا ما رأيته ينحني ليلامس اوراق الاعشاب، وفي قلبي كنت اسمعه يخاطبها قائلا : ايتها المخلوقات الصغيرة الخضراء، انت ستكونين معي في ملكوتي كما سيكون معي سنديان بيسان وارز لبنان . « يسوع بن الانسان »

واظلت اغصان الارز المقدسة وادي قاديشا ( اي الوادي المقدس )، ذلك الوادي الذي يتصل اسمه باسم مار مارون شفيع لبنان . ففي هذه الربوع، وفي زمن للمسيحية مبكر، وجد هذا القديس اتباعه الذين دافعوا عن قضيته، والذين اتخذوا الارامية، لسان يسوع، لغة لشعائرهم، ثم انشأوا طقوسا وترانيم دينية لا تزال الى اليوم من اجمل ما اعطاه العالم المسيحي من موسيقى.
وفي المكان عينه الذي وجد لبنان المسيحي فيه ميلاده الروحي، كان ادونيس يزور في مواسم له لبنانه . كان يترك جبل الاولمب في الربيع ويعود الى تلك الربى التي شهدت مولده في جوار الارز المقدس . وكم كان جبران يعجب من رؤية فتيات النصارى يرمين بتويجات الزهر في الينابيع التي تترنم في طريقها الى البحر . وكانت تلك الفتيات يجهلن انهن بفعلهن ذلك يحتفلن بعودة ادونيس.
كان هذا الاسم فينيقي الاصل ( من ادون ). وادونيس هو نفسه تموز. ان جدود جبران ليغنون مرة اخرى هذا العالم بهذا الرمز الانساني الخالد . انهم ليربطون بهذا الرمز يونان القديمة وفينيقيا معا .

عند جبران يتحد الشرق والغرب، والقديم والحديث، والامس واليوم . وتتضافر صور البعث الخالد للجمال والعاطفة في ادونيس مع رسالة المسيح الذي علم كيف تكون المحبة التي لا تعرف انانية . ان ذلك ليؤكد بدوره عقيدة جبران بقدرة المحبة الكلية على الشفاء، وان هذه العقيدة لممتلئة حرارة وعاطفة وشعورا .

كانت بشري موطن عائلتي والد جبران ووالدته : جبران ورحمه . وكانت هاتان العائلتان تحتلان عندهما عالما من المنجزات البطولية، عالما مثاليا مؤلفا من السلام والنظام تضاده هذه الفوضى في التاريخ المعاصر، وهذه الحضارة المادية التي وصفها بانها « الحضارة الراكضة على دواليب » . كان اقارب جبران، وبخاصة امه، يتصفون بتلك الصفات التي تجعلهم يحيون حياة تتمثل فيها جميع المثل الانسانية التي كان يؤمن بها جبران.
فلقد راى في ابناء بشري وفي ابناء ما جاورها من المناطق، وهم الذين عرفهم اذ كان يافعا، ابناء لبنان الاصائل الذين يضربون في مختلف الوان الحياة :

ولكن قفوا قليلا وانظروا لاريكم ابناء لبناني :

هم الفلاحون الذين يحولون الوعر الى حدائق وبساتين .

هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من واد الى واد، فتنمو وتتكاثر وتعطيكم لحومها غذاء وصوفها رداء.

هم الاباء الذين يربون انصاب التوت، والامهات اللواتي يغزلن الحرير .

هم الرجال الذين يحصدون الزرع، والزوجات اللواتي يجمعن الاغمار .

هم البناؤون والفخارون والحائكون وصانعو الاجراس والنواقيس .

هم الشعراء الذين يسكبون ارواحهم في كؤوس جديدة، وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنى والزجل .

هم الذين يغادرون لبنان وليس لهم سوى حماسة

# مرافىء الاهداب

لمن حبي وشوقي وانعطافي ... اذا لم تبوح عيناك القوافي
وانت أرق من لثمت جفون ... وانضر من تدثر بالعفاف
وأهداب ، رققت لها ، حيارى ... تلوث في المفاوز والفيافي
رأت اهدابك النشوى فالقت ... مراسيها ، فكن لهـا المرافي

ولي قلب ، رعاك الله ، غر ... ولكن رائق الاحلام ، صافي
تمتع بالازاهر ! لا تراعي ... وأولع بالاطايب ! لا تخافي
تلفت ، والجمال له مباح ... فلملم الالتفاتات الدوافي
ولما ان رددت اليه رشدا ... فاضحى فيه سحرك غير خاف
سالت ، مداعبا : يا قلب ما لي ... أراك تميل في غير انحراف
عهدتك لا تقر على ضفاف ... فما لك تستريح على الضفاف

واشجاني ، كما اشجاه ، بوح ... ندي الهمس ، ميمون الهتاف
تلفت ، فالربيع السمح نقى ... فؤادي ، فاطمان الى الكفاف
ونيسانية ، لولا شذاها ... لانكرت استيافي وارتشافي
اذا ما رقرقت صوتا تراءى ... شهي الشوق في ثغر السلاف
ترفرف ، فالجنائن مونقات ... وتبسم ، فالخمائل في انعطاف
حبست الطيب الا عن رفيف ... تنمنمه باهداب لطاف
فلولاها لما سلسلت لحني ... ولا اصفيت بوحي واعترافي
لقد حطمت اوثاني ، فاضحت ... تنزل من فؤادي في الشغاف

فوزي عطوي



في قلوبهم وعزم في سواعدهم ، ويعودون اليه وخيرات الارض في اكفهم واكليل الغار على رؤوسهم .

هم الذين يتغلبون على محيطهم اينما حلوا ، ويجتذبون القلوب اليهم اينما وجدوا .

وهم الذين يولدون في الاكواخ ويموتون في قصور العلم .

هؤلاء هم ابناء لبنان . هؤلاء هم السرج التي لا تطفئها الرياح ، والملح الذي لا تفسده الدهور .

هؤلاء هم السائرون باقدام ثابتة نحو الحقيقة والجمال والكمال . « البدائع والطرائف » .

تلك البقعة من الارض ، بما فيها من عرى شخصية ومن روابط مع السلف ، احبها جبران ان تكون مثواه الاخير . لقد كانت ارض بشري واهلها والمناطق التي تزنرها غابة الارز مهبط وحي جبران . ولم يكن خفيا كذلك انه كان يريد ان يبقى هناك الى الابد . وهكذا يقضي جبران وهو في الثامنة والاربعين من عمره . وكانت وفاته في العاشر من نيسان سنة ١٩٣١ في نيويورك.

بعد اربعة اشهر تنقل رفاته الى لبنان ، وفي الحادي والعشرين من آب تصل الى مرفأ بيروت ، ويحتمل التابوت الذي حوى رفاته الى مسقط راسه . انه ليوضع على نعش منحوت ، وانه ليودع في ذلك القبو الصغير في كنيسة مار سركيس ، وهي دير قديم وعر مظلم قد من جانب الجبل على مقربة من بشري ومن البيت الذي ولد فيه . ها هي شجرات الارز القوية من حوله ترددكلماته في جلال اخرس :

الارز على صدرك وسام شرف اثيل ، والابراج حولك تروي بطشك واقتدارك ياحبيبي. «دمعةوابتسامة»

وهكذا يختار جبران العودة الى « الارز في جنةالله»، والى بشري عينها حيث بدأت رحلة الحياةالقصيرة . وكما قال في « النبي »:

فقد وصل الجدول الى البحر ، واتيح للام العظيمة ان تضم ابنها الى صدرها مرة ثانية .

سهيل بديع بشروئي

# الشباب المخنث

محمد العدناني

★ ★ ★

ماس في مطرف الشباب دلالا    وتثنى كالخيزران ومالا
شادن رفت النضارة فيه    فمشى في اريجها مختالا
خلته ، والحديث رفت حواشيه    فتاة حيية او خيالا
ناعم الكف كالفواني ، اذا صا    فح حاكى النسيم هب اعتلالا
واذا سار ، سار كالرئم وثبا    حاسبا انه يباري الغزالا
وأطال الاظفار حتى راينا    انها اشرعت ظبى ونصالا
وعليه من الحرير ثياب    جعلته من النساء مثالا
وبعطفيه من شذا الطيب نفح    يورث النفس شقوة وملالا
ليس يخفي الاريج خبث ضمير    افسد البيد والربى والجبالا
في غنى عن تطيب ونفوح    كل من ضاع في الانام خصالا
ان في زخرف الوجوه لزيفا    وخداعا مموها ، واحتيالا
رب وجه جهم الاسارير ، داج    لم تبدل منه الصناعة حالا
هو خير من وجه غر جميل    فيه فن البهتان والمين جالا

يحسر الرأس عارضا شعره السبـ    ـط مدلى ، كأن فيه خبالا
ثم يكويه كالصبايا فيبدو    لك جعدا مموجا يتلالا
شعر قد حكى الحذاء التماعا    وحذاء حكى المرايا صقالا
بات عنها ، يا للدواهي ، بديلا    بئس وجه غوى فحل النعالا
يتمرأى فيها فخورا ، وهيها    ت يرجى من لم يكن صوالا
ويطيل الفودين حتى كأن    الشعر في وجنتيه كالماء سالا
وتراه ـ لا كان ـ يمضغ علكا    وهو يمشي بين الانام اختيالا
تخذ الجبن والتخنث عما    كلما نابت الخطوب ، وخالا
ويرود المقهى ليقتل فيه    الوقت،بئس الفتى زعيم الكسالى
ويعاني من نتفه حاجباه    وصبا قد براهما وهزالا
واذا طر ـ ويحه ـ شارباه    راح يحفيهما الرقيع ضلالا
ليت شعري ! اذاك رأس غلام    ام كعاب تسبي العقول دلالا
كل ما فيك من صفات الفواني    انما انت تلبس السروالا
لم لا ترتدي برود العذارى    ضافيات ، وتلبس الخلخالا
وتحلي اذنيك يا غر بالقرطين    كي تضحك النساء الثكالى
وتهز .... حتى تخلي    في صميم الالباب قيلا وقالا

بت اخشى على الشباب انحلالا ... مـا تداعوا عند الخطـوب خلالا
شمري يا فتـاة عن ساعد الجد ... فعهد الشبـان ولّـى ودالا
واتركـي للمخنثين خـدورا ... كي يقـروا فيها جسومـا وبالا
علهم يفرحـون بالطبخ، والكنس ... ويستعذبـون ذاك الآلا
ويخيطـون كل يـوم قميصـا ... ويغذون بالهـوى الاطفالا
صاحبـات الحجال ! بالله خلين ... لرهط المخنثـين الحجالا
ان نـون الاناث اجـدر بالشبـان ... منكـن ان صدقـت المقـالا
هن يـا غيـد نقمة الله حلـت ... برحـاب كانـت تشع جـلالا
فعليهن لعنـة الدهـر ما دمـن ... وجوهـا مصبوغـة اشكالا

كيف تحمون عندما يدهم الخطب ... بـلادا فاضـت عليكـم نـوالا
واتاكـم عـدوكم بقـلاع ... مثقـلات بما يدك الجبالا
تحجب الشمس كثرة ، فاذا ما ... افرغـت من اتـونها الاثقـالا
فهـوت كالرعـود منه تـدوي ... وتتالى على الرؤوس انثيـالا
فترج الحمى ، وتهوي صـروح ... شامخات ، فتشبـه الاطـلالا
أتطيحـون قاذفـات المنايـا ... بسهام الاهـداب تزجـي الوبالا
ام ترى بارجـاته بدمـوع ... من كؤوس الجفـون تغرق حـالا
أم ترى قهقهاتكـم ستـلاشي ... هـول ذريـة تنيـخ الزوالا
ام تراكـم ستنصبون شباكـا ... غزلتها عيونكـم اشكـالا
لتصيدوا بها وفـود الدواهي ... طائرات ، تستـاصل الانسـالا
اهرقـوا ... يـا نشاوى فانا ... قد شربنـا دم العـداة مذالا
ودفعنـا عنكم عـوادي خصوم ... لبسوا المكر والاذى سربـالا
فـابذروا مثلنا دمـا ودموعا ... لفلسطيـن تحصـدوا استقلالا

واشقاء البلاد ان صار يـوما ... درع شبانها الهوى والجمالا
قـد تعروا من‌الرجـولة ، لكن ... حسبوهم على البـلاد رجـالا
رب خير رجـوته من شباب ... عـاد يومـا يذيقـك الاهوالا
ليس انكى على الفـؤاد من الـرشـد اذا بـان ان فيه الضـلالا
من ينم عندمـا النـوائب تصحو ... يجن من نـومه البغـيض النكالا
ويرى حين يخطـب المجد صرفا ... انـه يخطب الاسـى والمحـالا

انـا لولا صبابـة من شبـاب ... زينـوا ارضنـا تقى وكمـالا
وارتـدوا حلة من المجد تـزهي ... بسناهـا ربوعنـا اجيـالا
واشعت اخلاقهم كذكـاء ... تبهر النفس ، والنهى ، والخيالا
لقذفـت القريض نـارا تلـظى ... تلهم المائعيـن والجهـالا
وتركت الاشلاء في حلبـة النقـد ... تحاكـي غب الوغى الاطـلالا

محمـد العدناني



عبد الرزاق الهلالي

من شعراء العراق

# السيد محمد باقر الحلي

١٣١٢ هـ – ١٣٩١ هـ

١٨٩٤ م – ١٩٧١ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

توطئة : ان هذا الشاعر الذي نقدمه اليوم ، واحد من الشعراء الوطنيين ، الذين ساهموا مساهمة فعالة في الدعوة للثورة على الحكم البريطاني الغاشم وعملوا حين اندلاع نارها ، مع بقية الثوار بكل حماسة واندفاع ! وقد سجلت له ، المؤلفات التي بحثت عن ثورة العشرين الوطنية في العراق ، كثيرا من الخطب الوطنية والقصائد القومية ، التي قالها قبيل هذه الثورة وخلالها وفيما بعد انطفاء شعلتها ! ومن المؤسف حقا ، ان يهمل هذا الشاعر ولا يذكر الا ذكرا عابرا في بعض كتب الادب في العراق ! فاحقاقا للحق ، وخدمة للتاريخ والادب ، نقدم خلاصة عنه وعن ادبه وشعره في هذه الصفحات ، فمن هو هذا الشاعر يا ترى ؟!

السيد محمد باقر : هو السيد محمد بن السيد باقر بن السيد ناصر الحلي الذي يتصل نسب اسرته بالامام زيد بن علي ( ع ) . وولد شاعرنا ، في محلة (الطاق) احدى المحلات المعروفة في مدينة الحلة الفيحاء ، سنة ١٣١٢ هـ – ١٨٩٤ م . فلما بلغ مبلغ الصبيان دخل احد الكتاتيب في تلك المحلة ، فلما اتم دراسته فيه ، راح يدرس بعض العلوم الدينية والعربية على عمه العلامة المرحوم السيد حمود بن السيد ناصر . كما انه كان يختلف الى العلامة المرحوم عبد الكريم الماشطة ، لدراسة بعض العلوم الاخرى . وقد افاد من هذين العالمين الكبيرين كثيرا ، ومال منذ ذلك الوقت الى حب الشعر وممارسة نظمه !

في التعليم : وفي اوائل عهد الاحتلال البريطاني اي في حوالي سنة ١٩١٧ عين معلما لتدريس اللغة العربية في مدرسة الحلة الابتدائية التي فتحت ابوابها آنذاك ، الا ان عمله هذا لم يدم طويلا ، بسبب مواقفه الوطنية ، ونشاطه في بث الروح القومية في نفوس طلابه ، وقد انتهى الامر بسجنه من قبل السلطة البريطانية المحتلة ، مدة ثلاثة اشهر ، ولم تفد محاولات وجهاء المدينة لالغاء هذا الحكم !

السفر الى النجف : ولما انهى مدة محكوميته ، آثر السفر الى النجف الاشرف ، راغبا في اكمال دراسته الدينية فيها ، فلما وصل اليها ، اصبح من تلامذة المجتهد الاكبر آنذاك هو العلامة ( الشيخ محمد كاظم الآخوند ) ابي الاحرار ! وحين حل في هذه المدينة المقدسة ، وجدها اشبه ما تكون بخلية نحل ، اذ كان النشاط السياسي والعمل الوطني ، على اشده ، فتسنى له وهو ذلك الشاب المتحمس ان يتصل بالاوساط الوطنية فيها ، ويبدأ العمل معها بكل قوة واندفاع .

في السجن من جديد : وحدث ان زار اهله في الحلة ، لقضاء بعض الوقت ، وفي اثناء وجوده فيها ، عقد اهالي الحلة اجتماعا وطنيا كبيرا في ( جامع الحلة ) فما كان منه ، وهو الوطني المتحمس ، الا المشاركة في هذا الحفل ، اذ القى خطبة حماسية حرض فيها الجماهير على الثورة ضد الانكليز الذين قلبوا للعراقيين ظهر المجن . فلما انفض عقد الاجتماع ، القت قوات السلطة ، القبض عليه ، وقدمته للمحاكمة فحكم عليه بالحبس لمدة ثلاثة اشهر ايضا !

الهرب من السجن : ولم يطل بقاؤه في السجن هذه المرة ، بل تمكن من ارشاء سجانه البريطاني بمبلغ (١٠٠) روبية ، فخرج من سجنه ، فارا الى مدينة النجف الاشرف !!

في ( مسجد الهندي ) : وبينما كان في هذه المدينة عقد اجتماع وطني كبير في (مسجد الهندي ) فالقى فيه خطبة سياسية ثورية ، اعقبها بقصيدة وطنية عامرة ، جاء فيها قوله :

يا شعب كيف حمى علاك يرام   وبنوك بعد العز كيف تضام

هذي الذئاب لهن فيك مسارح فليحم منك عرينه الضرغام

ولما كان الانكليز آنذاك قد اعلنوا عن مبدأ (الوصاية) على العراق ، فقد اشار الى ذلك قائلا :

هم يطلبون على العراق وصاية عجبا فهل ابناؤه ايتام
حتى اليهود يوقرون ، وحقهم يرعى وحق المسلمين يضام

الهرب الى ( ام رغلة ) : وحين انفض ذلك الاجتماع الوطني الحافل ، احس السيد محمد باقر ان السلطة له بالمرصاد ، فالخير كل الخير ، له بالهرب الى احدى المناطق العشائرية ، في الفرات الاوسط ، فاتجه ، صوب مقاطعة ( ام رغلة ) في ناحية ( المشخاب ) حيث مقر زعيم السادة ( آل ياسر ) المرحوم السيد علوان الياسري! وقد رحب به هذا السيد الجليل ، واكرم وفادته ، فمكث في مضيفه قرابةعام بعيدا عن متناول السلطة وجلاوزتها !

ولما كان السيد محمد لا يستطيع البقاء بدون عمل ، فقد اقترح على السيد الياسري ، ان يفتح مدرسة ، يعلم فيها ابناء المقاطعة ، فاقره السيد علي هذه الفكرة ، وسجل ابنه السيد عبد الحميد ، اول طالب فيها . وبدأ السيد محمد عمله هذا بعد ان سجل عدد من الطلاب ، وبذلك تكون هذه المدرسة ، اول مدرسة ريفية تقام في الريف العراقي !

وقد روى لي السيد عبد الحميد الياسري ، بعض ذكرياته عن نشاط هذا الشاعر ، في ( ام رغلة ) ، وكان مما رواه ، البيتان اللذان ، كان الشاعر يرددهما هناك ، وهما قوله :

ما زلت اطرق المنازل خائفا حتى اتيت الى منازل (ياسر)
حيث ربوعك ( ام رغلة ) مزنة تنهل بالخير العميم الوافر

في مؤتمر الشامية : وخلال وجوده في ( ام رغلة ) القت السلطة البريطانية القبض على ( الشيخ محمد رضا ) نجل المجتهد الكبير ( الشيخ محمد تقي الشيرازي ) فكان عملها هذا مثيرا ، حمل قادة العشائر وزعماءها ( لاسيما في منطقة الشامية ) على التفكير باتخاذ موقف موحد تجاه هذه السلطة !

وفي اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩٢٠ ، عقد هؤلاء الزعماء ، في مدينة ( الشامية ) اجتماعا كبيرا ، ضم عددا من رؤساء العشائر والزعماء وفي مقدمتهم السيد علوان الياسري ، والسيد هادي زوين ، والشيوخ : سلمان العبطان ومحمد العبطان ، وشعلان الجبر ، وهنين الحنون ، وكان السيد محمد الباقر ، قد حضر هذا الاجتماع في صحبة السيد علوان الياسري .

الباقر ينتهز الفرصة : ولما اكتمل عقد المدعوين لهذا الاجتماع الكبير ، وقف السيد محمد الباقر وبدون اعداد سابق ، وراح يلقي على الحاضرين قصيدة وطنية ويخاطبهم فيها قائلا :

بني يعرب لا تامنوا للعدا مكرا خذوا حذركم منهم فقد اخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود ، مكيدة ويبغون ان حانت بكم فرصة ، غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا اضاليلهم في الهند والكذب في مصرا
ولا تقبلوا منهم بقول مموه فما عاقل يرجو باعدائه خيرا
تريدون بالاقلام انجاح امركم وهل تنفع الاقلام من حطم السمرا
يخوض عباب البحر من طلب الدرا ويلقى ظلام الليل من عشق الزهرا
ومن مات دون الحق والحق واضح اذا لم ينل فخرا ، فقد ربح العذرا

يا زعماء الخزاعل : وبعد الانتهاء من قصيدته التي ذكرنا منها هذه الابيات ، التفت صوب زعماء قبيلة ( الخزاعل ) الموجودين في ذلك الاجتماع وخاطبهم قائلا :

ـ يا زعماء الخزاعل ، ان قبيلتكم كانت تسمى ( خزاعة ) وقد دخلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الحلف بين النبي وقريش ، ان لا يؤذوا من يحالفهما ، وحين تعرضت ( خزاعة ) لاذى قريش واحلافهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ لا ينصرني ربي ، ان لم انصر خزاعة !! فجيش جيوشه على مكة ، حتى تم له فتحها !!

ثم قال السيد محمد الباقر :

ـ ان محمدا اليوم في حاجة الى نصرتكم ، فهل تفون اليوم بدينه ؟!

ولم يكد ينهي عبارته هذه ، حتى وقف رئيس الخزاعل ، الشيخ سلمان العبطان ، وسل سيفه وهزه بوجهه قائلا :

ـ عند وجهك ، انا اخو فاطمة !!

وعند ذاك ، ثارت حمية الحاضرين ، ونهض جميع الرؤساء واخذوا يهزجون بالاهازيج و ( الهوسات ) الحماسية .

من شعراء الثورة : وفي اليوم التالي ، لهذا الاجتماع ، انطلقت شرارة الثورة ، من ( الرميثة ) ، وانتشر لهيبها حتى شمل مناطق الفرات الاوسط وبغداد وما جاورها وعند ذاك ، القى السيد محمد نفسه في غمارها ، واخذ يعمل مع غيره من الاحرار في نصرة الثورة والثوار ، شعرا وخطابة وعملا في مختلف المناطق والاماكن وكان واحدا من شعرائها الابرار .

الهرب الى المحمرة : ولما انطفأت نار هذه الثورة الوطنية ، واخذ الانكليز ينكلون بكل من اسهم فيها ، اضطر كثير من الاحرار الى الهرب ، والاختفاء ريثما تتضح الامور ، فكان السيد محمد الباقر من جملة من هرب الى ( المحمرة ) ، لكنه لم يلبث هناك الا فترة قصيرة من الزمن ، اذ رجع بعد ذلك الى مدينة البصرة باسم مستعار! وعمل في سلك التعليم فيها ، وبقي في عمله حتى سنة ١٩٢١ .

العودة الى بغداد :ثم غادر البصرة الى بغداد ،وهناك عين معلما في المدرسة الجعفرية الاهلية ، لكنه مع هذا لم يكن يغفل عن اعمال السلطة وتنكيلها بالاحرار ، او مطالبتها بتنفيذ مطالب الشعب ، فقد كان له في هذه الفترة قصائد وطنية رائعة . وعندما فتحت مدرسة الحقوق ، التحق بها ، وبعد اربع سنوات ، تخرج فيها

في سنة ١٩٢٥ .

جريدة الادب : وفي سنة ١٩٢٤ وفي يوم ٧ ايلول منها ، اصدر العدد الاول من جريدته « الادب » التي لم يصدر منها سوى عددين ، اذ تعطلت بعد ذلك ، ولم يعاود اصدارها الا يوم (٦ـ ٢ ـ ١٩٢٥ ) غير ان صدورها لم يستمر طويلا ايضا .

في دنيا الوظيفة : وحين تخرج في الحقوق ، عين مديرا لناحية الكوفة ، ثم ما لبث ان عين حاكما في مدينة ( قلعة سكر ) ثم استقال منها في سنة ١٩٢٦ منصرفا الى المحاماة في مدينته ( الحلة ) .

في المجلس النيابي : وظل محاميا حتى سنة ١٩٣٨ اذ تم اختياره في هذه السنة نائبا ، فلما اكمل المجلس دورته ، لم تجدد نيابته ، فعاد لمزاولة مهنة المحاماة من جديد .

آخر الصفحات : واستمر كذلك حتى تقاعد من المحاماة ، وقد ساءت صحته في اواخر ايامه ، حتى توفي يوم ( ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٧١ ) وله من العمر ٧٧ عاما .

شعره : قلنا ان هذا الشاعر لم يدرس ، دراسة خاصة ، بل كل ما عرف عنه ، ان له بعض القصائد ، قالها في الثورة العراقية ، فهل هذا هو كل ما له من شعر ؟ ان الواقع يشير الى ان له مجموعة لا بأس بها من القصائد والمقطعات الشعرية . وانه رحمه الله ، كان ينوي طبع ديوانه ، الا اننا لم نعثر مع الاسف ، على هذا الديوان ( المخطوط ) لانه ضاع بعد وفاته . غير اننا وقفنا على قصيدة لصديقه الشاعر الاستاذ مهدي مقلد ، يقرظ بها هذا الديوان ، بناء على طلبه .

لقد قال في قصيدته تلك مقرظا :

يا باقر الادب الرفيع ومن الى ... ادابه شد الرجال رحالا
اني قرات بيان شعرك فارتوت ... نفسي وخلت بيانك السلسالا

ثم يقول فيها :

ولكم هززت الرافدين بمقول ... ذلق واشبعت العدو نضالا
وهددت للمستعمرين شوامخا ... وفللت منهم في النزال جبالا
يا باقرا احسنت فيما صغته ... وقرنت في افعالك الاقوالا
فلو ان حقا يسترد لاهله ... نحت العراق لشخصك التمثالا

ونقدم في ما يلي ، نماذج من شعره الذي عثرنا عليه، تمثله في مواقف مختلفة ، غير الثورة وصفحاتها ، تاركين القارىء الكريم تقييم هذا الشعر .

### رسالة السجن

نظم هذه القصيدة ، عندما كان في سجن الحلة سنة ١٩١٩ ، وقد خاطب فيها شريف مكة ، الملك الحسين بن علي ، قائلا :

شكوت اليك لا جزعا ولكن ... لتعلم كيف قد حكموا وجاروا
سأبقى ما حييت ابا علي ... ولي يوما ( مع الحلفاء ) ثار
سئمت المكث في كنف الاعادي ... فهل لي في جواركم قرار
دخلت السجن لكن لا للذنب ... وما في السجن للاحرار عار

ثم يصف حاله وحال غيره من السجناء قائلا :

اذا ما مر رب السجن يوما ... يرنحه اختيال وافتخار
كاغنام يشد بهن ذئب ... نفر وليس يعصمنا الفرار
نقضي يومنا جوعا ونمسي ... وليلتنا يماثلها النهار
نبيت بلا فراش ولا وساد ... لكل ثلاثة منا ازار
لرب السجن نبسط كل حين ... اكفا خط فيهن الصفار

### شدة ورخاء

قال هذه القصيدة ، بعد ان نفت السلطة البريطانية بعض الاحرار الى جزيرة ( هنجام ) وقال فيها :

انما الدهر شدة ورخاء ... وافتقار حينا وحينا رخاء
حكم هذا الزمان شر وخير ... وكذا يعقب الظلام الضياء
فاخو الحزم من يبيت وكلتا ... حالتي دهره لديه سواء
ايهذا الشاكي وما ثم الا ... اذن عن شكاته صماء
ابق ما شئت في الحياة حزينا ... ليس في هذه الحياة عزاء

ايها الناقد الحكيم تامل ... ما تلاقي في عيشها الضعفاء
لست ادري ولا المؤرخ يدري ... ما هو الحق ، مثلنا الحكماء
انا لا ارتئيه الا شراكا ... تتهاوى خلاله الاغبياء
هو كالعدل يخدع الناس فيه ... وضعته الملوك والامراء
لا يلام القوي عندي مهما ... كثرت باعتدائه الانباء
انما الذنب للضعيف اذا استسلم ... ان رام سحقه الاقوياء

نحن في يومنا بعهد جديد ... فاتقوا الله ايها العظماء
قد قضى الشعب ما عليه ولما ... يتحقق فيكم لديه رجاء
انا اخشى النار سوف تغدو ... سببا في اتقادها الاهواء
ان للشعب ( صفوة ) من بنيه ... ان يصابوا ، يعمه الاستياء
فاذا رمتم رخاء ( فاعفوا) ... عن بنيه ان احسنوا او اساؤوا
من بنى حكمه بغير رضا الناس ... وشيكا ينهار ذاك البناء
حطموا هذه القيود والا ... فعلى الامن والسلام العفاء

### مسامرة النجوم

شكرت الدراري فهي مثلي سواهر ... ولولا الدراري من تراني اسامر
أطال علي الليل وحدي ام الدجى ... لدى سواء نائم ومساهر

ثم قال :

ابيت لما بي من هيام كانني ... اخو جنة يعروه داء مخامر
وهل لك يا نهر المجرة زورق ... لعلي عن هذي الانام اسافر
وما لي في هذي الانام مساعد ... فهل لي بسكان النجوم موازر
تجنبني من كنت احسب انه ... على مبدأي من حيث اني مخاطر
وصيرني فخا لسافل قصده ... يساوم بي اعداءه ويقامر
وهانت عليه شقوتي بمنصة ... تربعها والوفر اذ ذاك وافر
وقد كنت ممن يرهب الدهر باسه ... وعيشي على رغم المكابر ناضر
يقولون لي صبرا وان عن حادث ... فكم نال ما يرجوه من هو صابر
تأن فما ترجو وشيكا نجاحه ... وعما قليل يضمد الجرح سابر
عسى فرصة مثل التي مر حينها ... مواردها محمودة والمصادر

### سعد دعني

سعد دعني أذيع في الناس سري ... فلقد ضاق فيه يا سعد صدري
خلني والزمان ان كنت تخشاه ... فاني جربت ويلات دهري
انا ان لم انل مناي بسعيي ... فسارضي نفسي بواضح عذري

لا تلمني اذا بذلت حياتي    انت فيما ارومه لست تدري

يا خليلي والخطوب سـواء    مني العرب كل قسم بشطر
فكأن الزمان لما دهاهم    لم يفرق بين العراق ومصر
خليانى للناس اظهر شكواي    فقد عيل يا خليلي صبري
خلياني ابث ابناء قومي    ربما اوقظ النيام بشعري
فلعلي اذا نفخت الاقي    تحت هذا الرماد جذوة جمر

حتام انت ؟

حتام انت على الليالي تعتب    خفض عليك فما سواك يعذب
اذ كيف تسعد في الحياة وانت من    سنن الحياة ونهجها تتنكب
ان القضاء مع المجد فلا تخل    ان الحظوظ بغير حق توهب
فاعمل لنفسك حيلة او فاصطبر    واعلم بانك انت ذاك المذنب

يا كاتبا حبس اليراع على الجدى    تبا لما يحوي اليراع ويكسب
طورا تغرد كالهزار ، وتارة    تاسى فانت غراب بين تنعب
بالامس كنت مع الذين لحقهم    وبلادهم نهضوا ، تضج وتصخب
واليوم اذ لا نفع يرجى منهم    امسيت رأي الخائنين تصوب
متلون في الحادثات فتارة    مستترك ، مستعجم مستعرب

الا يا للهوى !

الا يا للهوى هل من معين    على سهري وترداد الانين
اعيروني فؤادا ان قلبي    سرى يوم النوى خلف الظعون
واوردني ـ لحاه الله ـ كاسا    امر علي من طعم المنون
اقيلوني فما انا والتصابي    فقد سلب الهوى عقلي ...
اذا هتفت مطوقة سحيرا    على بان الحمى زادت شجوني
اطارحها الهوى طورا وطورا    ابت لها جوى داء دفين
وتغدو الشهب مني ضاحكات    ولولا الحب ما بي من جنون

يا ليل

الى متى يا ليل تبقى مقيم    ما آن ان ترأف بالساهر

يا ليل ما هذا السكون العميق    حملتني يا ليل ما لا اطيق
اسلمني الخل وخان الصديق    حب فقد ذقت العذاب الاليم

فلم تهبني غاية الصابر

يا ليل هذي الشهب الزاهرة    قد وقفت ترمقني حائرة
فهي ستبقى ابدا ساهرة    اذ هي مثلي في شقاء مقيم

كذا قضت مشيئة القاهر

ثقلت يا ليل على كاهلي    اقصر فقد طلت بلا طائل
أأعجبتك هفوة الجاهل    أم هذه النجمة بنت السديم

اغوتك في منظرها الزاهر

يا ليل كم ناجاك من مغرم    وانت لم تسمع ولم تعلم
يا ليل لا تشفق على النوم    ان الذي يرضى بعيش ذميم

لا يستحق نصرة الناصر

قد كانت الدنيا ولما تزل    تعلم الناس ضروب الحيل
فاقطع من العيش حبال الامل    وقاتل الحتف بثغر بسيم

قرير عين هادىء الخاطر

سئمت عيشي ، فرضيت الممات    لا حبذا يا قوم هذي الحياة
نادوا على نعشي يوم الوفاة    ليت ابا هذا المسجى عقيم

مقترن بالمرأة العاقر

بطل العراق وواحده

نظم هذه القصيدة ، عندما جيء بزعيم الثورة العراقية ( الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ) مخفورا الى بغداد ، حيث أودع السجن فيها ، تمهيدا لمحاكمته ، وقد نشرت في جريدة الاستقلال يوم ٦ ــ ٢ ــ ١٩٢١ .

تهن وطب نفسا بما انت واجد    فقد كنت عن حق صريح تجاهد
لعمري لقد اكسبت قومك سؤددا    يهون ما امسيت منه تكابد
فان يك ذاك الخصم في الظلم مفردا    فانك يا ( عبد الحقيقة ) واحد
اقول له صبرا واعلم انه    وان عظمت ، لما تسوؤه الشدائد
فيا بطل الشعب العظيم بشارة    سيدرك فيك الشعب ما انت ناشد
فان نفذت للظلم فيك ارادة    وسرت بما يجري عليك الحواسد
فلا بد ان تاتي لشعبك فرصة    وليس له الاك للمجد قائد
فان حجبت ـ لا كان ذاك ـ منية    فانك في تاريخ شعبك خالد
اتيت الى بغداد والخوف شامل    لابنائها والظلم في الناس سائد
فبت لدى ( هرون ) ضيفا مكرما    ولا عجب ان يكرم الابن والد
فلو لم يخنك الدهر فيما قصدته    لجئت الى بغداد والجند حاشد

راوا ، وبعض القوم هانت نفوسهم    تجادل عما ترتاي وتجالد
فانزل فيك القوم بطشة قادر    لكي لا يرى للحق فينا معاضد
فان سير بالاسواق ( فيك ) مقيدا    فما شل الا للحقيقة ساعد
تحف بك البيض الرقاق دلالة    على انك الشهم العظيم المجاهد
اراد محب العدل فيك اهانة    لشعبك اذ ما للضعيف مساعد
فقل لدعاة العدل حسب فقد اتت    علينا لذاك العدل منكم شواهد
ويا ما احيلى الموت والعصر مزهر    بزعمهم والعلم في الناس سائد
وغير مبال ان يقال مشاغب    فان الردى مهما تنوع واحد
وما نحن بالشعب الذي اغتر منكم    بوعد وقد تغري البليد المواعد
بني وطني لا تياسوا من نجاحكم    فسعيا فما نال العلى متقاعد
اخو العزم ان يقرن بحزم فعاله    مصادره تحلو له والموارد

لسان حال الشعب

نظم هذه القصيدة التي ضمنها مطاليب الشعب السبعة التي رفعت الى الحاكم البريطاني العام من قبل ممثلي الشعب ، ونشرها في جريدة الاستقلال يوم ١٩ ــ ١ ــ ١٩٢١ اذ قال :

سابقى وان لم يعباوا بارادتي    اضج الى ان يسمع الحق سامع
وكي لا يقولوا جاهل متهور    تسرع فيما رام والوقت واسع
اردد صوتي مرة بعد مرة    ليحسن فيما بعد ما انا صانع
فسمعا ولاة الامر واي مصمم    من الخرق ان قستك منه المسامع
اطالبكم ان تصدروا الصحف حرة    وتكثر في هذي البلاد المجامع
اطالبكم بالعفو عن كل مجرم    بزعمكم ان كان عني يدافع
وان يطلق الاسرى باقرب فرصة    فما انا ممن بالوعود يخادع
ومن اربي ان ترفعوا كل حاجز    لكي يتعاطى الراي دان وشاسع
وان ترفعوا عني المحاكم شكلت    من الجند جاءت من لدنها الفظايع
اطالب في تاليف مؤتمري الذي    لحظته مستقبل الامر تابع
فلا بد لي من ان احقق بغيتي    وان منعت من دون ذاك الموانع

وبعد : فهذا هو الشاعر السيد محمد باقر الحلي ، وتلك هي حياته ، ونماذج من شعره ، نرجو ان نكون قد وضعنا بين يدي القارىء الكريم تلك المعلومات التي تكشف عن صفحات من حياة شاعر من شعراء الثورة العراقية المجيدة .

بغداد    عبد الرزاق الهلالي

# من مسرحية فاجعة مايرلنغ

الامير رودولف وآغايا يتحادثان

رودولف :

متى كان الهوى يا فتنتي　　بين الورى ذنبا
وهل في سجعة الشحرور　　اثم يوجب العتبى
وسر السحر في الشحرور　　كان الشدو لا النعبا
اراد الله ان نعشق　　لما ابدع القلبا
وما ذنب الفؤاد اذا　　احب وطاوع الربا

آغايا بغضب :

انا لا الوم على الهوى　　قلبا ، يحن ويخفق
ليس الغرام بموبق　　لكن حبك موبق
والعهر غير الحب لو　　فكرت ، فيما تنطبق
شتان بين هوى كماء　　المزن صاف يدفق
وهوى اثيم ، ريحه　　بشذا اللذاذة تعبق

تسكت قليلا وتتابع :

وهواك بالشهوات يعصف　　كالضرام ويبرق
دنست عرضا كالشواقب　　ناصعا يتالق
وجعلتني اغضي على　　الامر المشين واطرق
والقلب من اشجانه　　هو جمرة يتحرق
أعلمت انني حامل　　وحشاشتي تتمزق
هذا غرامك يا امير　　بكل شين ينطق
ما كان عندك من يد　　ترجى ، وصدرك ضيق

رودولف بذعر :

ماذا احقا ما نطقت　　به ، وكان القول صدقا
هل انت مني حامل　　صدقا ؟ وبات الامر حقا
يا هول ما اجترحت يدي　　بل ما امض وما اشقا
جل لعمري ان يحول　　العشق مثلبة وحمقا
ما كنت ادري ما اقول　　وغال مني الذعر نطقا

آغايا ساخرة :

أضاق عليك باب القول　　والميدان متسع
أراك صمت من جزع　　وساور قلبك الجزع
علام سكت مشدوها　　والجسم ثغرك الوجع
اتخشى الشعب والدنيا　　لكل متوج تبع
وهل كان الهوى اثما　　له الوجنات تمتقع

دمشق　　عدنان مردم بك



نقـولا يوسف

# الشاعر محمد فضل اسماعيل

## ١٨٩٨ ـ ١٩٦٩

بقلم نقولا يوسف

* * *

كنت تصادفه في احدى طرقات الاسكندرية حين يزورها لماما او يتخذها مقاما ـ يسير مهرولا وسط الزحام ، ضائعا بين الجماهير ، ضئيل الجسم ، قصير القامة ، اسمر الوجه ، محنى الهامة ، لا يستلفت نظر العابر منه شيء .. او كنت تعثر عليه رابضا في مقهى صغير مع زميل شاعر يتطارحان الشعر .. وقد تلتقي به في محفل ادبي اقيم لمناسبة او ذكرى ، واقفا يلقي على الحاضرين في صوت رصين ، قصيدة بليغة ونظم رشيق مكين ... فاذا كنت قد شاهدته او حادثته ، ثم قرات شعره او سمعته ، عجبت كيف يتأتى لهذا الانسان الوديع المستكين ان يطلق تلك القذائف المدوية في الساحات القومية ، وان يرسل هذه الطرائف الساخرة في ساعات اللوعة والتألم ، ومواقف الشكوى والتظلم !.

لعلك وانت جالس اليه ، والنظرة الحائرة والبسمة الغامضة تطوفان بوجهه النحاسي النحيل ، شبهتهبالبركان الهامد يخفي في جوفه الحمم ، ذلك الوجدان المستور يطوي الاحتجاج على ما في دنياه من مظالم وعدوان ، والتمرد على ما في نفسه من حسرة وحرمان .

ولعل صورة هذا الشاعر العربي الطواف الحائر ، ذكرتك بصور مماثلة حفلت بها كتب الادب في الشرق والغرب ، واطلق الناس على اصحابها « شعراء الحرمان » اذ حرمتهم الحياة اشياء كثيرة من مناعمها وطيباتها ، واحسوا انهم يفقدون هذا الكثير ويألمون لفقده ، فلجأوا الى مثلهم واحلامهم ينظمونها شعرا فائضا بالشكوى والالم تارة ، وبالسخرية والنقد تارة اخرى .. وبالمديح والاستعطاف حينا ، وبالقدح والهجاء حينا ... او بالتشبيب بالحبيب المجهول والبكاء على الحب الضائع احيانا .. فهذي فئة من العصر الحديث يمثلها عبد الله النديم ، وبيرم التونسي ، وعبد الحميد الذيب ، ومحمد مصطفى حمام ، ومحمد فضل اسماعيل .. وغيرهم .. وهناك شعراء « التروبادور » الذين ظهروا بفرنسا في القرون الوسطى ، وكانوا يتنقلون كالطيور بين القرى والقصور ، ويملأون الفضاء باناشيدهم .. او اولئك الشعراء العذريون الذين ظهروا في العصر الاسلاميالاول في نجد والحجاز « وليسوا على راي طه حسين الا جماعة المحرومين الذين احسوا انهم يفقدون شيئا ويألمونلفقده، فاتخذوا المرأة رمزا واتخذوا الحب رمزا لما احسوا من لوعة وحسرة والم . » ..

وكان قد احتجب شاعرنا عن الانظار فترة من الزمن ثم جاء من ينعيه الينا ويقول: انه عبر الى العالم الاخر يوم السادس من اكتوبرعام ١٩٦٩ ـ شيخا عليلا في الحادية والسبعين بينما كان مقيما باحد فنادق الاسكندرية المتواضعة ولم يعلم بوفاته غير نفر من لداته كانوا كل من شيع جنازته . وانه لم يترك وراءه من حطام الدنيا شروى نقير ! ..

وكنا نعلم انه عاش حياته مسرفا خاوي الوفاض ، يرتزق من مهنة التدريس ، ويتقاضى مرتبا ضئيلا ثم معاشا قليلا لا يغني من جوع .. ولكنا كنا نعلم ايضا انه خلف للناس ثروة ادبية في مجموعة اشعاره المبعثرة في الصحف والمجلات ، وفي جيوب الاصدقاء ، مما نظم طوال خمسين عاما .. ولطالما داعبه الامل في جمع هذه الاشعار ونشرها في ديوان يحمل اسمه ويخلد ذكره .. قالوا : لقد كتب قبيل وفاته الى محافظ السويس ـ المدينة التي قضى بها زهرة العمر ـ يوصيه بنشر هذا الديوان .. ثم لا يمضي على وفاته غير سنوات ثلاث حتى راينا هذا الديوان الكبير مجموعا ومنشورا في ثوب انيق واخراج رشيق تتصدره المقدمات والتعاريف .. ثم نعلم ان ما ينقصه من القصائد في طريقها الى النشر مجموعة فى مجلد ثان ـ (١) .

وقصة حياة شاعرنا « محمد فضل اسماعيل » كسائر قصص الادباء المكافحين المحرومين ، صفحة

يشوبها القلق والاضطراب ، والتنقل والحيرة .. فكان يلجأ الى ظلال الشعر تنفيسا عن كربته ، والى الايمان ينشد في رحابه الراحة والعزاء ..

وولد في بلدة « فاقوس » من اعمال اقليم «الشرقية» بدلتا النيل في مصر يوم ٢٤ من نوفمبر ١٨٩٨ لوالد فقير نزح من السودان موطن اسلافه ، للعمل والارتزاق، وادى به المطاف الى هذا الاقليم حيث تزوج وانجب ، وكان شاعرنا محمد فضل اكبر ابنائه .. فدرج الطفل في ذلك الصقع العتيق الحافل بتاريخه واعلامه ، وقدر له ان يثبت في ارض خرج من قراها المتجاورة عدد من ادباء العربية منهم الشعراء : عزيز اباظه ( وقد نشأ بقرية ( الربعماية ١٨٩٨ ) — واحمد الكاشف من ( القرشية ) — واحمد فتحي ( من كفر الحمام ١٩١٣ ) — وصلاح عبد الصبور من الزقازيق ١٩٣١ — ومن الكتاب سلامة موسى ( عزبة سلامه ١٨٨٧ ) وفكري اباظه ( من كفر ابو شحاته ١٨٩٧ ) ودكتور محمد مندور ( من كفر مندور ١٩٠٧ ) — ومحمد زكي عبد القادر ( من قرية فرسيس ١٩٠٨ ) — ومن قبل الزعيم احمد عرابي ( من قرية رزنة ١٨٤١ ) وغيرهم من ابناء « الشرقية » ..

ولما بلغ شاعرنا محمد فضل اسماعيل الرابعة من عمره الحقه ابوه بكتاب البلدة حيث حفظ القرآن الكريم في سن السابعة وعندما بلغ هذه السن نقله الى مدينة السويس ، وادخله احدى مدارسها الابتدائية حيث اتم تعليمه الابتدائي . ومنذ ذلك العهد توثقت صلته بالسويس ، وارتبط بها شطر كبير من حياته وذكرياته والهاماته ، تلميذا ثم معلما وكان يتخذها مركزا يرجع حينا ليعود اليه .. وعلى شاطئها تفتحت براعم شاعريته، وبدات نشأته الادبية ، وبادلها الوفاء فنظم في مدحها ووصفها وكفاحها غرر القصائد ، افرد لها باب في ديوانه تحت عنوان « السويسيات » ، وبينها نشيد قومي نظمه لتلاميذها .. ثم اطلق عليه اهلها لقب : « شاعر السويس » ..

ثم شاء ابوه ان يلحقه بالازهر ليتلقى العلوم الدينية والفقهية ، ويصبح من شيوخ الدين واللغة . ومكث الفتى عامين بالازهر ، ولكنه ما لبث أن تركه وتقدم للحاق بالمدرسة الحربية بالقاهرة ( الكلية الحربية الان ) ، فلم يقبل طلبه .. ولم يثنه ذلك عن تحقيق رغبته القوية في ان يصبح جنديا في الجيش ، وارتحل الى السودان حيث له اعمام وانساب ، واستطاع الالتحاق بالمدرسة الحربية في الخرطوم ، وبقي بها عاما ثم صدر الامر بفصله من المدرسة وابعاده عن السودان جميعا ، فقد ارتاب « قومندان » المدرسة الانجليزي في نشاط هذا الفتى الذي يلتف زملاؤه حوله في ندواتهم ليسمعهم اشعاره واحاديثه الرافضة للاحتلال والاستعمار ، فألب عليه « مدير المعارف » البريطاني ، واتفق الراي على نفيه ..

وعاد شاعرنا الى اهله « بالشرقية » وقد خاب امله في احتراف الجندية ، ولكنه استبدل سلاح الجيش بسلاح القلم ، وظل مجردا قلمه في الميادين القومية ، وفي مقاومة الوان المظالم والعدوان طوال حياته .

ولم ينس بعد ذلك ايامه وصحابه في السودان ، ونراه بعد طوال السنين ، يوم نزل بالاسكندرية في صيف ١٩٣٧ اعضاء بعثة سودانية قادمة من لندن بعد اجراء مفاوضات تهدف الى استقلال البلاد ، يهب الى مخاطبتهم بقصيدة طويلة يضمنها حنينه وذكرياته ويقول في مطلعها :

| | |
|---|---|
| منابع النيل طالت فيك اشجاني | وطال للصحب في واديك تحناني |
| سقيتني في صباي الحبفامتزجت | بالحب نفسي ولم تنزع لسلوان |
| وكيف انسى ليالي التي حفلت | بذكريات المنى ما بين اخواني |
| حيث الجمال على الاعشاب مرتسم | والحسن منطبع فيها بالوان |

وما لبث شاعرنا عقب عودته من السودان ان التحق بمدرسة المعلمين العامة بالزقازيق حاضرة « الشرقية »، وحاز منها مؤهل التدريس ، وعاد الى السويس ليعلم بمدارسها ، وبقي هناك عدة سنوات كان خلالها يشتغل بالادب وبنظم الشعر ، ويتصل ببعض الادباء واصحاب الصحف في شتى المدن ، ويراسل جريدة « المقطم » ، ثم يصدر بالسويس في صيف ١٩٢٤ صحيفة سماها : « الثغر الشرقي » لم تعمر طويلا ..

وكانت مواهبه الشعرية التي تفتحت منذ عهد باكر تتجلى في قصائد ومقطوعات منشورة في الصحف ... وفي عام ١٩١٨ — وكان في العشرين من عمره — اشترك في مسابقة شعرية اقامها احمد زكي باشا ( شيخ العروبة) وموضوعها : « وصف قناة السويس » — وفاز بجائزتها « قلما ذهبيا » .. وعندما شبت بمصر ثورة ١٩١٩ فاضت شاعريته وظل ينظم في احداثها وتطوراتها على مدى السنين ، كما اشترك عام ١٩٣٦ في مسابقة عامة اقامتها الدولة في نظم نشيد قومي للبلاد ، وفاز بالجائزة الثالثة ( بعد نشيد كل من محمود محمد صادق ، ومصطفى صادق الرافعي ) ولحن نشيده وذاع في المدارس ..

لقد كان لشاعرنا محمد فضل اسماعيل حاسة موسيقية مرهفة تدعوه الى نظم الاناشيد والاغاني ،يصوغها في رباعيات سلسة الالفاظ ، وترديد منظوم يتكرر .. منها الاناشيد القومية والعاطفية والمدرسية كما نظم شعرا دينيا لينشد بعضه .. ومن اناشيده القومية : النشيد القومي ( ص ١١٩ ) ونشيد السويس ( ص ٢١٧ ) ونشيد القوات البرية ( ١٤٦ ) ونشيد القوات البحرية ( ص ١٥١ ) ونشيد الحضانة للاطفال ( ص ٢٥٠ ) .

كما ان له حاسة مسرحية ، تتجلى في مسرحية

( ١ ) ديوان محمد فضل اسماعيل — جمعة وحققه احمد مصطفى حافظ — ومقدمات للسيد محمد بدوي الخولي محافظ السويس ، وللشاعرين د. مختار الوكيل ، وعامر محمد البحيري ، وللجامع — طبعه المجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة—١٩٧٢ — في ٣٨٧صفحة.

شعرية قصيرة سماها « مصر الحرة بنت الثورة » تتخللها موسيقى تصويرية ، وابطالها يرمزون الى التاريخ ، والزمن ومصر .

وتزوج شاعرنا عام ١٩٢٩ بفتاة سودانية الاصل ، وانجب منها ثلاثة اولاد مات منهم اثنان في حياته ، وعاش ثالثهم وتوظف بالقاهرة ، ثم ماتت ابنته بعد زواجها .. وكان والدهم شديد الحدب على أطفاله ، وله فيهم قصيدة : « اولادنا اكبادنا » غير ان اسرافه فيما يقع له من مال قليل ، وفوضى حياته المادية ما دعا زوجته الى الانفصال عنه حتى توفيت بعده بعامين .. فكان يلجأ الى الاسكندرية بحرها وصحبتها وندواتها ، فتلهمه الغزير من الشعر الرقيق .. حتى نقل مدرسا بمدارسها ( فكان معلما بمدرسة العروة الوثقى ، ومدرسة سعيد الاول ، ومحمد علي الصناعية ) ـ ثم مفتشا للغة والاناشيد بمعاهدها .. وطالت بالاسكندرية اقامته وفاضت اشعاره ، الى ان توفي بها ودفن في ثراها .. وعده الكثيرون من شعرائها ..

ومن قصائده السكندرية : اسكندرية داري ، واسكندرية قلعة الثوار ، والاسكندرية يوم ٢٦ يوليه ، ومؤتمر القمة بالاسكندرية ، وانا ابن البحر ، ومحاسن الاسكندرية ـ حيث يقول يوم رحل عنها مرة :

اسكندرية ما نسيت هواك ... هيهات ينسى شاعر ذكراك
علمتني لغة الهوى فنظمتها ... من مهجتي لانال حسن رضاك
ونثرت فيك على الشواطىء ادمعي ... يوم الرحيل وما احتملت نواك
فيك الشباب ربيعه قدمته ... وجعلت روحي في الحياة فداك

وفي محافل الاسكندرية طالما وقف يلقي شعره في المناسبات القومية والتذكارية فهو يحيي البعثة السودانية في يوليه ١٩٣٧ والكشافة السورية في فبراير ١٩٣٨ ويقف على قبر الشاعر خليل شيبوب يرثيه حين وفاته في فبراير ١٩٥١ وفي حفل تأبين صديقه الشاعر السكندري عثمان حلمي ( المتوفي في ديسمبر ١٩٦٢ ) وفي مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ( اكتوبر ١٩٦٢ ) حيث القى قصيدته « ثورة صنعت جيلا » ـ وفي حفل وزارة الشؤون الاجتماعية لمعونة الشتاء ، وفي غيرها من المنتديات والاجتماعات .

وهو كلما نزل بالاسكندرية هرع الى صحابه من ادبائها ، وفي مقاهي المدينة عقدوا مجالسهم الادبية ومساجلاتهم الشعرية وهناك كنت ترى من شعراء الثغر : عبد اللطيف النشار ، وعثمان حلمي ، وخليل شيبوب ، وعبد الحميد السنوسي ، وعبد الحكيم الجهني ، ومفيد الشوباشي .. ومن كتابه : صديق شيبوب ، وعبد الحميد سالم ، وشيخ الخط العربي محمد ابراهيم ... وغيرهم وقد سبقه معظمهم الى دار البقاء . وقد تدور المفاكهة والممازحة في تلك الجلسات ..

وكان دكتور طه حسين شديد الحدب على محمد فضل اسماعيل ، سمع شعره وقرأ بعضه وكلاهما يبادل الاخر الود والتقدير ؛ وشاعرنا يلجأ الى الرجل الكبير « طه حسين » عندما تشتد به ازمات المهنة وكان لطه حسين المستشار الفني لوزارة التعليم عام ١٩٤٢ ووزير التعليم بين يناير ١٩٥٠ ويناير ١٩٥٢ كلمة مسموعة في هذه الوزارة ، وكان يرشح شاعرنا « فضل » لوظيفة اعلى لولا عقبة المؤهل ( شهادة المعلمين العامة ) التي لا يحمل الشاعر غيرها .. ثم حدث ان اختلف صاحبنا مع ناظر مدرسته الذي فضل مدرسا احدث منه عهدا بالمهنة ، ووكل اليه تدريس اللغة العربية بالفرقة الاعلى ، فلما عارضه الشاعر احاله رئيسه هذا الى التحقيق لرفضه الامتثال للامر ، فتوجه الى مقر طه حسين بالاسكندرية وارسل اليه شكواه على ورقة كتب عليها :

تعثر حظي فما اتعسه ... وادبر نجمي فما انحسه
واوقعني الدهر في حفرة ... يسمونها خطأ مدرسة
فلو كان يدري من شادها ... لما اجهد الفكر في الهندسة

وقابله طه حسين في عطف وعينه مفتشا للغة والاناشيد بالمدارس ، وظل في هذا المنصب حتى تقاعده. ولكنه عاش الى يوم وفاته في ضنك وعوز ، لقلة مرتبه ولاسرافه وشططه .. فلما ظهر ديوانه بعد وفاته ، واهدى محافظ السويس نسخة منه الى طه حسين ، ارسل اليه الدكتور طه يقول :

« .. وعلى قدر ارتياحي لظهور هذه المجموعة الشعرية الخصبة بين دفتي كتاب ، واستخلاصها من يد الشتات والتبدد ، كان شعوري العميق بالاسف والحسرة على ما لقي الشاعر الراحل في حياته من غبن وحرمان ، فانه بموهبته الادبية ، وكفايته الشعرية كان خليقا ان تتاح له عيشة راضية ، بل انه بمشاعره القومية واستجاباته الوطنية كان جديرا بان يتوافر له كفاؤها من التقدير والتكريم » .

وما زلنا نقرأ في ديوان فضل ( ص ٢٦٤ ) قصيدة بعنوان : « الى الدكتور طه حسين » يصور فيها تقديره واعجابه ببيانه ويراه « اخا المعري في الحجا » .. ثم يقول :

تبيت تهتم بالتعليم في وطن ... ما حلت عن حبه يوما بسلوان
شبهته بهواء راح يعوزنا ... كالماء فيه تساوى كل انسان
احسنت في ذاك تشبيها وان لنا ... في ان نقابله منكم بشكران
اكنما نحن اذ نعطيهما كرما ... للناس .. لم نلق الا كل حرمان
وفاقد الشيء لا يعطيكه ابدا ... ما لم تعوضه احسانا باحسان

بيد ان الشاعر لم يقصر تقديره ومودته ووفاءه على طه حسين وحده ، فقد وزع مكنونات قلبه على كثير من اهل الادب والوطنية من اصدقائه وغيرهم فهنا اربع قصائد بليغة في الشاعر احمد شوقي : شوقي بين النفي والعودة ، ومبايعة شوقي بامارة الشعر ، وغداة وفاته ، وازاحة الستار عن تمثاله في رومه . وهنا قصيدة في ذكرى العقاد ، واخرى الى روح حافظ

## حب شاعرة

★

من لفظك العذب جاء الحب بالكلم
ومن لهاثك مر الطيب بالنسم
واقبل الصبح من عينيك منبلجا
وزرقة من صفاء الافق والنجم
قد جاء من جنة تسخو السماء بها
فكان من حسنه ما خطه قلمي
حلما جميلا الى الابداع ياخذني
الى الربيع ، الى الاوزان والنغم
الى الجبال التي تعلو كعزته
الى الجنان الى الفردوس والنعم
تجري محبته كالسحر في كبدي
تمور في جسدي ممزوجة بدمي
اذا اطل ، أطل البشر يغمرني
وان توارى فقلبي ذاب من ألم
احب شيء الى قلبي محبته
وقبلة تلتظي من ثغره الوسم
طال انتظاري وشوقي لاهب ابدا
يا ليت منفصلا يمنى بملتئم
الارض عطشى وغيث الحب ممتنع
والجسم يحلم بالانداء والديم
يا ليت من فرق الارزاق يمطرني
من راحتيه غزير المزن والكرم
فيضحك الروض في بستان عاشقة
وينشر الحب في الوديان والقمم

سان باولو ـ البرازيل فيليب لطف الله

ابراهيم ، وفي سيد درويش ، وسلامه حجازي ، وعثمان حلمي ، وخليل شيبوب ، والامير عبد الكريم الخطابي ، ومحمد ابو شادي ، واحمد زكي ابو شادي ، وعبد الوهاب النجار ، والشاعر العراقي بركات الامين ، والى ام كلثوم ، وفي وفاة كل من الزعماء الوطنيين : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ... والى عدد من اخصائه ..

وكذلك اختص شاعرنا العروبة بعدد من قصائده القومية مثل : انا العربي ، وارادة العروبة لا تقهر ، والعروبة مهبط الوحي ، والمراة العربية اليوم ، والسودان .. والوحدة العربية .. وفلسطين .. ومؤتمر القمة ..

ان العروبة ظل الله تحرسها    روح العناية عند الهول لا تجم
في البروالبحر بل في الجو ماجهلت    كيف الفداء وكيف الروع يقتحم
فلا نبالي بالاستعمار يطعننا    من خلفنا وهو موتور ومحتدم
ارادة العرب الامجاد تعرفها    ارجاء (سينا) وتدري امرها (ارم)
هيهات يقهرها باغ وطابعها    في كل عصر اباء النفس والشمم

ومنذ ان بدات بمصر ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ هب شاعرنا يستوحي احداثها ، ويصور مسيرتها وتوالت قصائده وملاحمه في : تأميم القناة ، وعدوان ١٩٥٦ ، والسد العالي ، وذكرى عيد النصر ، ومدافعنا تتكلم ، ولنا الخلود ، وثورة صنعت جيلا ، وفي مهرجان الثورة، والاسكندرية يوم ٢٦ يوليه ، وماذا بعد الجلاء ، ونقل رمسيس الثاني الى ميدان القاهرة ، والى قواتنا البرية في يوم عيدها :

اضرب خيامك في الصحراء واصطبر    للحر والقر والزم عدة السفر
واجعل متاعك نيرانا اذا اندلعت    لاقى العدو بها الاهوال في سقر
وانت انت فتاها وابن بجدتها    ورثت فيها مضاء العزم عن مضر
فان تكن قوة في الارض رابضة    فقد بلغنا بك الامال في ظفر

وكما جال وصال في الميادين السياسية والوطنية ، فقد اسهم ايضا بشعره في مجال الاجتماعيات فنظم في عيد الطفولة ، وفي عيد الام ، ومعونة الشتاء ، وفي عبد الفلاحين ، وعلى لسان المعلم ، والمراة العربية اليوم ، واصدقائي الشباب ، ونشيد الحضانة وفي غيرها من المناسبات والذكريات ، والاعياد والمآتم ، لم تلهه همومه الذاتية في كفاحه الزمن من اجل لقمة العيش ، وشعوره بالنقص والغبن والحرمان ، عن مشاركة الناس في افراحهم واتراحهم .. لم يعش متفردا في برج عاجي يطل من اعلاه على المجتمعات ، بل كان ينزل الى الشوارع والمحافل وساحات الجهاد ، ويندمج فيما يدور حوله من احداث ووقائع وثورات . ويملأ الفضاء باناشيد الحب والعزاء والعظات ..

ثم لم تلهه اهتماماته بدنيا الناس وحياتهم المادية ، عن التسامي بواقع حياته وحياتهم الى سموات الروح والالتجاء الى رحاب الخالق الرحيم ، وتستمع اليه في اكثر من عشرين قصيدة وترتيلة مناجيا : « ذات الله العلية » و « اللهم غفرانك » و « لغير الله ما طأطأت رأسي » و « في منزل الوحي » و « مولد النور » و «من وحي السيرة النبوية الشريفة» و «الاسراء والمعراج» و « حديث الهجرة » و « التضحية والفداء » و « رابعة العدوية» و «الاخلاق المحمدية ».

هكذا عاش شاعرنا الفنان محمد فضل اسماعيل محلقا في آفاق الحب والجمال والايمان ، وقد صقل روحه البؤس والقلق والحرمان ، مورثا لاخوته الناس كل ما ملك في دنياه : دموعه وابتساماته ، وضعفه وقوته ..

الاسكندرية نقولا يوسف

# الحاج محمد أمين الحسيني

بكتك « القدس » والمدن الغوالي ... بدمع مثل حبات اللآلي
واعولت البلاد عليك حزنا ... ومن « رفح » الى اقصى الشمال
توشحت السواد على سواد ... لانك انت سيدها المثالي
ولو تسطيع ردك ما توانت ... فدتك بكل مدخر وغال

نعيك يا ابا الثوار خطب ... جليل ساء من جراه حالي
وسر الشامتون ، وكنت قبلا ... بباسك كل دائهم العضال
فقد ارقتهم زمنا طويلا ... ونعلك منهم فوق القذال
ولكن خاب فالهم وضلوا ... هنالك بعد في حرج السؤال
فانت على المدى حي وباق ... وتاجك فوق هام المجد عالي

أبا الثوار جئت ازور بيتا ... عريقا من بيوتات النضال
لالمح في زوايا البيت شيخا ... له حلم كراسية الجبال
والثم راحة كالغيث تهمي ... بموفور الاباء على الرجال
واقبس من منارتكم شهابا ... يضيء لي الطريق على الليالي
فقد منيت هذي النفس دهرا ... بصحبتكم وكان من المحال
وكم من زورة لي من بعيد ... اجيء اليك ممتطيا خيالي
فانتم دائما نبراس روحي ... وحبكم تأصل في خصالي
رضعت لبان والدتي صغيرا ... على حب لكم صاف زلال
وان دجت الحوادث افتديكم ... بعمي بله والدتي وخالي
وانجالي لكم ابدا ضحايا ... وان كانوا على روحي الغوالي

ابا الثوار انت بلا شبيه ... وعزكم يزيد على الكمال
ومجدكم المؤثل يعربي ... حسيني الارومة والجلال
( فلو احصيت فضلك في كلام ... فقد احصيت حبات الرمال )

ابا الثوار بعدك ما وهنا ... فقد وقيتنا مرض الكلال
لانك في جهادك عبقري ... وفي اللزبات كنت بلا مثال
غرست فضيلة الاصرار فينا ... ونميت المروءة في الخلال
وقدت معارك التحرير شهما ... وكنت الالمعي بلا جدال

يعاهدك الرجال ابا صلاح ... بصدق دونه شرف الفعال
بانا سوف نشعلها تلظى ... من الشام الحبيبة للقتال
فلا تعجب ابا الثوار انا ... برغم الجرح نصطحب العوالي
ونمتشق السيوف بكل زند ... ابي يشتهي ساح النزال
فقد سئمت نفوس العرب ذلا ... ( وفي طول المعاشرة التقالي )
وان يكن العدو بلا حياء ... ينال بارضنا سوء المنال
( فما ان طبنا جبن ولكن ... هي الايام من حال لحال )
وتلك مشيئة الرحمن فينا ... نعود من القتال الى القتال

دمشق — خليل خلايلي

الليل يقتحم عليها الحجرة دفعة واحدة . يهبط كخيمة اقتلعتها الريح. الساعة مشنوقة على الجدار، دقاتها واهنة تشيع النهار الذاهب. تضع الدقات حجرا كبيرا في طريق انكارها . تسقط نظرات كسونة على العقارب . نصف ساعة فقط باقية على الموعد الذي حدده بطريقة آلية ليس فيها اثر للحرارة. تتعجب ان الوقت مر بسرعة منذ ان كانت الشمس تلتصق بالقبة الزرقاء. ما عهدت الوقت يمر بمثل هذه السرعه، دائما يضع اعصابها في مرجل يطفو على وجهه الزبد الى ان يأزف الموعد فتهرع الى لقائه ، وتلقي بكل همومها في بحر عينيه ، دائما تجد همومها متسعا في هذا البحر تركب زورقا شراعيا يسير بدفع انفاسه الدافئة على اجنحة من الحلم السعيد . لا تعود الى البيت الا وقد اغتسلت من الداخل . فتتراكم هموم اليوم التالي على ارض طاهرة من الادران. تسهل عليه ازالتها ببسمة تسطع من تحت شاربه الاسود الكث . تأسرها ابتسامته ، فتنشأ في داخلها رغبة ما ... تطفئها بدمعة من كل عين فيتساءل معاتبا :

ــ اتبكين وانا معك ؟

ــ امي اكثر من مريضة ، اخشى ان تتركني في قطار الحياة وحيدة.

كلامها عن الموت والوحدة لا يمنع ابتسامته من الانتشار في وجهه. فيزرع في نفسها ايمانا ان الطوارىء والمفاجئات لها عنده حلول. ويضرب بيده على صدره استعدادا .

ــ لن يطالك ضيم

فتولد في داخلها رغبة ما .. تطفئها باعادة حديث سبق عن ثروة تركها ابوها منذ عشر سنين. فتزداد ابتسامته انتشارا ..

قالت لها امها وهي مزروعة على فراش الرض

ــ اي بنيتي انا ذاهبة ..احذري الذئاب .

طردت شبح الخوف . واعتقدت ان امها تهذي . فلا ذئاب في المدينة وهي لجة من الضياء . تسمع ان الغابات وحدها يمكن ان يعيش فيها القوي على حساب الضعيف اما هنا فمثل هذا التحذير مضحك .

لذا شرعت اصابعها المدببة بالاظافر وابتسمت فلم تشاركها امها الابتسام .

في اللقاء التالي امسك بيديها وامتدح اظافرها . فما عادت تلقاه الا وقد طلت اظافرها كل مرة بلون.

ماتت امها لحظة الترقب نصبها الموت مكتفة . لم تبك وهي ترى امها تغادر البيت بلا رجعة. كانت امها تقول لها دائما ان لا امل في شفائها والسرطان قد استوطن رئتيها بعد




بقلم احمد عودة



عليها الشهيق والزفير . وان ما يأخذه الاطباء بدعوى الامل يمكن ان يسد ثغرة كبيرة في حياتها بعد موتها « لو سمعت كلام امها لوجدت دموعا تبكيها ولما جففها الندم كما جففها اللاوعي حين مات ابوها وهي في العاشرة ».

لم يعد من احد غيره حين رأته آمنت اكثر ان لا داعي للبكاء. تمنى لها عمرا مديدا فتمنت وهي تنظر الى عينيه لو يضاف ما يحرم الاموات من عمر الى الاحياء . لذلك قالت :

ــ اذن لكنت اسعد خلق الله مدة




أطول .

لاحظت انه يتحاشى النظر اليها وهو يقول :

ــ ولكن ما يتركه الاموات من ارث منظور خير من سنين عجاف . لاول مرة شعرت انها ملزمة ان تخبره بما يشبه الاعتراف بالذنب انها لم ترث شيئا . وان كل رصيدها حبه.

وما كان من الممكن ان ترثه صبته في جيوب الاطباء بعكس رغبة امها .

قبل ان يحول عينيه عنها نهائيا رمقها بنظرة شزراء.

ــ من العجب ان يكون رأيها اصوب من رأيك وهي التي كانت نصف ميتة.

لم تشتم في لهجته اي نوع من الغيرة عليها . تغرق في الوحدة . تلمس حاجتها الشديدة للدموع . نظرة واحدة منه كفيلة باخراجها من طوق الوحدة الضاغط على عنقها .

ــ كيف تواجهين الحياة بيد فارغة ؟

في صوته غنة شماتة وازدراء .

ويده التي كانت تضرب صدره استعدادا راتها مطروحة الى جانبه كجثة هامدة . وعيناه اللتان كانت تسبح في بحرهما تغيبان خلف عبوسة تفترش وجهه كله ما ظنت في لحظة من اللحظات ان هذا الوجه الوسيم ، سيتحول الى لون من البشاعة الماحقة . الشخص الذي كان يستحم بالاثير ، يغوص في بؤرة من الوحل النتن .

يقول بعد صمت طويل .

ــ حسنا سأوافيك الليلة .

كل شيء حولها كان يوحي ان الليل مخيم ، بدليل هذا السواد الذي تراه مرتميا على كل شيء. فبدا الانتظار عقابا يوقعه عليها لفعلة شنيعة اجترحتها. همست ان تقول شيئا اي شيء. ولكنه تركها وهو يغمغم .

ــ الساعة الثامنة في بيتك .

راته وهو مدبر عنها كشبح بلا معالم . انهال عليها اليأس . كل آمالها السعيدة مطبوعة بالفحم

# المغرب الاقصى

سكب الجمال على اشغاف فؤادي     المغرب الاقصى .. فتلك بلادي
بلد يقيم الحسن في احضانه     وتميس فيه كواعب.. الامجاد
لطفت حواشي سهله وجباله     لطفا تانت في ظلال .. الوادي
وترقرق الماء النمير كانها     جنات عدن ، خولت لعباد
وكانها ايدي الهواء .. مراوح     نشرت لترضي رغبة الرواد
رق النسيم بصيفه وشتائه     وتعانقا في الفة .. ووداد
حتى اذا جاء الربيع تقدما     يترنمان .. بفتنة .. الميعاد
للمغرب الاقصى..وهبت شبيبتي     وغمست .. في آلامه .. اورادي
وطني اذا فارقت يوما صدره     فارقت راحة اعيني..ووسادي
يعدو خيالي في جميع ربوعه     نشوان يرقص في ربى ووهاد

عهدا علي سافديه بمهجتي     ممن يجافي حبه .. فيعادي
لم احمل القلم النبيل سفاهة     اني اصطفيت طريقتي وجهادي
وطني على ارض العروبة كوكب     حف الجلال بنوره الوقاد
له في فلسطين الحبيبة موعد     مع طغمة الشذاذ والاوغاد
يوما ستمنحه الشعوب دماءها     عربية الشارات والامداد
ما انفك للوطن العزيز تلهف     يا قدس .. ولتخسا طبول العادي
المغرب الاقصى يؤكد عهده     للمسجد الاقصى منار الضاد

**الناظور ـ المغرب**     **القمري الحسين**

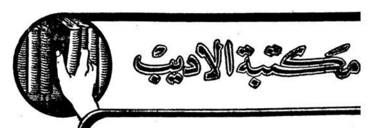


على لوح اسود . والشمس التي تتكبد السماء بقوة كأنها مغروسة فيه باوتاد ، رأتها مفارقة مضحكة مبكية في آن واحد .

هذه المرة الوحيدة مذ عرفته تشعر ان يدا رهيبة تقتلعها من جذورها ، وتلقيها في البيت كقطعة من الحطب الجاف يمكن ان تحرق في اية لحظة . « ليس وعدا ما طلبه منها ، بل هو حكم قاس عليها تنفيذه ، واعصابها معلقة على صنارة الانتظار ». دقات الساعة تتلمس كل ذرة في جسدها فتدميه . عقاربها تطبق على الثامنة ، كل ما اجتاح راسها من افكار ، ينهزم بهراوة جهنمية . دقات قلبها تلتحم بدقات الساعة . نظراتهاتتصلب على الباب. قد يقرع الان تتجمع كل حواسها في اذنيها . العقارب تجتاز الثامنة وتفر عنها « تأخره عن الموعد الذي حدده عقاب اخر من نوع آخر » تزايل موضعها . تذرع الحجرة تتحول الى قطة شرسة تسيطر عليها رغبة ان تهجم على الباب فتحطمه .. تنتشنها دقات خفيفة . تتوقف في وسط الحجرة تماما .. تنظر الى الساعة ترى عقاربها تعانق التاسعة .تحاول ان تنزع عينيها عن العقارب، لا تستطيع ، تجتذبها حركتها المنتظمة بعد ركض سريع ، كل الامور التي انقلبت في ذهنها تعود الى وضعها الطبيعي. الطرق يستمر وبعنف يدل على نفاذ صبر . تتصور ان مخالب حادة تجرح وجه الباب وتنغرس فيه. تشعر بقشعريرة تجتاح جسدها تطمئن الى ان الباب المغلق يمثل صمام الامان .

في لحظة واحدة يتعرى الوهم . تتسمع الى الطرق بانتشاء ، تحدس انه يتمزق غيظا في الخارج .. ترتاح على كنبة وتمد ساقيها على طولهما . تظل في حالة من الشعور بالانعتاق حتى الى ما بعد ان كف الطرق، واعقبته اصوات اقدام ذاهبة اخذت تموت بالتدريج.

**عمان ـ الاردن**     **احمد عودة**




## الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية

تأليف الدكتور بكري شيخ امين ـ ٧٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة(؟)

سبعة ابواب ، تضم تسعة عشر فصلا ، في كتاب ضخم ينطوي على اكثر من سبعماية صفحة ، من القطع الكبير ، مطبوع طباعة انيقة ، على ورق ابيض صقيل ، بعنوان « الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية » .

هذا هو الكتاب الجديد ، الذي اصدره الباحث المحقق الدكتور بكري شيخ امين ، الاستاذ في جامعة حلب في سورية ، وفي الجامعة اللبنانية في بيروت ، وحامل دكتوراه الدولة من جامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت .

ولقد قال المؤلف في مقدمة كتابه ، حين كان يعرض شيئا من المجهود الذي بذله ، خلال ست سنوات تقريبا ، كرسها لاعداد هذا الكتاب قال : « انني في سبيل جمع معلومات هذه الرسالة ، كنت كالحا في ارض الشوك ، طلب منه في يوم ريح ، ان يجمع ذرات طحين ، نثرت فيها ، ليجعل منها في آخر النهار ، رغيف خبز ، طيب الطعم ، سائغا للآكلين » .

والحقيقة التي لا شك فيها ، هي ان قارىء الكتاب ، لا يستطيع ان يوقن بالمعنى الدقيق الصادق ، لهذا القول ، الا بعد ان يفرغ من قراءة هذا الكتاب ، الذي اسمح لنفسي بان اعتبره « موسوعة ادبية فكرية » عن الادب والفكر السعودي ، اكثر من كونه كتابا للدرس ، او رسالة للعلم ، ذلك لانه جمع الى جانب البحث العلمي والدراسة المنهجية ، معلومات وافرة كثيرة ، تضمنت فصولا شيقة عن البيئة السياسية والدينية ، وعن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم عن الدعوة في الادب ، فالى المؤثرات المباشرة في النهضة الادبية ، مع كل ما يتصل بها من اعلام وتعليم ومكتبات ومطابع . انتقل بعدها الى الفنون الادبية ، شعرا ونثرا ، بالاضافة الى موضوعات الادب المستحدثة ، فتحدث عن مختلف الاتجاهات الادبية ، اجتماعيا وسياسيا ووطنيا وعربيا واسلاميا ، كما تناول التيارات الادبية في الشعر السعودي ومصادره ونهجه وصوره الفنية ، بحيث جاء بعد ذلك ، الى فن القصة فاشبعه درسا وتحليلا وتعريفا ، متناولا جانب النقد البريء المهذب حينا ، وجانب التقريظ الرصين المنصف حينا اخر ، ولم يدع « ادب المقالة السعودية » دون بحث واهتمام فتناول مختلف الاطوار التي مر فيها فن المقالة ، بدءا من العهد العثماني ، حتى العهد الهاشمي ، وصولا الى العهد السعودي ، فدرس موضوعاتها بين مقالات دينية او ادبية او نقدية او اجتماعية او سياسية او فنية وخلص بعد ذلك ، الى البحوث والدراسات المنهجية في التاليف الادبي البحث وفي التاليف التاريخي ـ الادبي ، بحيث تناول التاليف الادبي والنقدي واللغوي ، كما بحث في التواريخ العامة والخاصة والتراجم والسير مع تيارات واساليب التاليف التاريخي .

واذا اخذنا بعين الاعتبار الاسلوب العلمي المنهجي ، الذي اعتمده الاخ الصديق الدكتور شيخ امين ، بما يستلزمه هذا الاسلوب من تتبع وتحقيق وتحليل واستنتاج ، مع ما يقتضيه ذلك من اعتماد على نصوص وشواهد، تتناول الانسان العربي السعودي بشخصه وبيئته وفكره وانتاجه ، ادركنا ان من حق هذا الكتاب ان يوضع في صف «الموسوعات» لا في صف الكتب وحدها ، خاصة وانه اشتمل في نهايته على فهارس للاعلام والقبائل والمواطن ، تجعل من الميسور لكل باحث ، ان يجد بغيته بسرعة ، عن اي علم من الاعلام السعودية وقبائلها ومواطنها التي حفلت فيها صفحات الكتاب .

وتأتي أهمية هذا الكتاب ، من ناحية كون المؤلف قد سارع الى ربط الحركة الفكرية الادبية المعاصرة ، بمختلف اطوارها التاريخية الماضية ، فهو بهذا قد جمع بين الماضي والحاضر ، وبين الطريف والتليد ، بحيث بات ميسورا لاي باحث ، او لاي راغب بالاطلاع ، ان يعرف مراحل تطور الحركة الفكرية تاريخيا من ناحية ، وان يعرف الكثير من تفاعلها ، خلال العصر الحاضر من ناحية اخرى ، خاصة وان الكتاب لم يخل من دراسة انتاج الكثيرين من العلماء والادباء والكتاب السعوديين الاحياء ، ومن كل صاحب فكر او قلم او فن ، ذي شان في الحركة الفكرية المعاصرة في المملكة العربية السعودية .

وقد يكون من حق الدكتور شيخ امين علينا ، ان نعترف له بان كتابه هو الاول من نوعه بالنسبة للحركة الادبية السعودية ، ذلك لان مما لا شك فيه ، ان الادب والفكر السعودي ، هو فكر ثر ، وادب غزير ، ذو شان كبير في محيط الفكر العربي ، غير ان الظروف قد خانته في ناحيتين اثنتين ، الاولى عدم انطلاقه بشكل اوسع في العالم العربي ، فكان اشبه ما يكون بالادب المنعزل ، او الفكر المنغلق ، المنحصر تقريبا في داخل الجزيرة العربية ، والثانية توزعه وشتاته ، وعدم تنظيمه بالشكل الذي يؤدي المعلومات الشاملة عن الادب والفكر السعودي .

هاتان الناحيتان قد اولاهما الدكتور شيخ امين عنايته واهتمامه، فجمع الشتات الى الشتات ، ليؤلف منه موضوعا واحدا متكاملا ، كما انطلق بمؤلفه الى خارج الجزيرة العربية ، ليضع الفكر السعودي وادبه ، في مكانه المرموق ، مع ادب وفكر العالم العربي كله . وهذا قد حمل المؤلف بدون شك على بذل جهود كبيرة ، شبه فيها نفسه بالحافي على ارض الشوك ، يسعى لجمع ذرات الطحين في يوم ريح ليصنع منه ، رغيف خبز ، سائغا للآكلين .

هنيئا للاخ الكريم الدكتور شيخ امين ، بما صنع وانجز وانتج وهنيئا للمكتبة العربية ، بما حصلت عليه من موسوعة قيمة ، كان بين اجمل ما فيها قول المؤلف في ختام كتابه ، وهو يشهد الله على ذلك ، بانه ما كتب موضوعية خالصة ، واجتهادا شخصيا حيال الحركة الادبية في الارض التي يتوجه اليها في صلاته وعبادته ، ربما اروع البحث ، حين يكون دليله الصدق ، وروحه الايمان ! فضلا عن ان المؤلف ، لم يدع لنفسه العصمة من الزلل ، فترك الباب مفتوحا ، امام المناقشة والجدل ، قابلا لكل تصويب او تصحيح .

**بشير العوف**

## مـوالات بغـدادية

جمع وتحقيق عامر رشيد السامرائي ـ ٤٦١ صفحة ـ منشورات وزارة الاعلام ـ مطبعة دار الحرية ـ بغـداد ١٩٧٤

اصدرت وزارة الاعلام العراقية ، في شهر حزيران الماضي ، ومن ضمن سلسلة « المكتبة الفولكلورية » الكتاب الموسوم بـ « مـوالات بغدادية » الذي جمعه وحققه الباحث الفولكلوري الاستاذ عامر رشيد السامرائي ، ولقد قرأت هذا الكتاب الماتع ، قراءة شغف واهتمام ، فلما فرغت منه ، لمست مدى الجهد الذي بذله الاستاذ المحقق وهـو يدرس هذا النوع الجميل من فنون الادب الشعبي ، واعني بـه ( الموال ) ، وآمنت بعد ذاك ، بان هذه المجموعة الكبيرة مـن الموالات ، التي جاوزت الاربعمائة ، لم يكن من الميسور جمعهـا وتحقيقها وتفسير معانيها تفسيرا سليما لولا التتبع المستمر والبحث الدائب والعمل المضني !

ولم يكن غريبا على الاستاذ عامر ، النهوض بمثل هذا العمـل الشاق ، فقد عرفنا عنه ، هذا الصبر وذلك التتبع ، من ابحاثـه ودراساته العديدة السابقة ، وان من يقرأ مقدمة الكتاب يقف علـى مدى احاطة الاستاذ السامرائي بالموال واصله وفصله . فقد استوعبت مقدمته هذه جميع الآراء التاريخية ( التي وقعت بين يديه ) الباحثـة في اصـل المـوال ونشاته ووزنه ولغته .

ولم يكتف بذكر هذه الآراء ، بل ناقشها مناقشة علمية سليمة ، وفند الرأي القائل ، بان الموال نشأ بعد نكبة البرامكة ايام هـرون الرشيد ! وخرج الى القول بعد ذاك ، على ان الموال نشأ في مدينـة واسط العراقية ، دون ان يعرف اسم مبتكره او زمان ظهوره !

وقد وضع في هذه المقدمة كشافا او دليلا امينا ، لكل من يريـد ان يقرأ هذه الموالات قراءة قريبة من الاصل .

واعتمد المحقق الفاضل وهو يجمع هذه الموالات ، على ثـلاثـة مصادر ، هي مجموعات خطية ، وفق في الاطلاع عليها والافادة منها ، والكتب المطبوعة الباحثة عن هذا الفن ، والروايات الشفاهية التـي سمعها من شخصيات لها في هذا الفن باع طويل .

ومما زاد الكتاب قيمة اكثر ، هذا الجهد الذي بذله المحقق في شرح الالفاظ والكلمات العامية الواردة في هذه الموالات ، ومـن ثـم اعطاؤه ، المعنى العام لكل موال في هامش الصفحة زيادة فـي النفـع والفـائدة !

ويطيب لي ما دمت في معرض الحديث ، عن ( الموال ) ان اشكر الاستاذ السامرائي غاية الشكر على هذا الجهد الرائع ، فقد اتـاح لي فرصة الاستمتاع بقراءة هذه المجموعة الكبيرة من ( الموالات ) ، بعد ان كنت اردد موالا واحدا كنت معجبا بكلامه ولا ازال ، واذا رغـب القارىء الكريم مشاركتي به في هذا الاستمتاع فها انذا اثبت نصـه الاتـي :

من يوم فركـاك جسمي مـن صدودك عـود
هيهـات بعـدك يسليني نديـم او عـود
كلما يتوب الكلـب ، روحـي تطلي عود
لي صاحـب كـط محـد كال بيه لولـه
اي والـذي بالمهـد جبريـل الـه لوله
لوما يكولون واعـرف بالحجـي لـوله
جنت احجـي ويـاك لكـن بالزبيبـة عود

وقد اثبت المحقق الفاضل ، هذا الموال في كتابه ، ونسبه الـى الشاعـر المرحوم عبد الكريم العلاف ، بينما حسب علمي انه مـن نظم الشاعر المرحوم السيد محمد رضا الخطيب !

وليستمح لي المحقق بعد هذا ان اشير الى اني وقفت خـلال

قراءاتي على تفسيرات لعدد نزر من الكلمات والالفاظ ، ابتعد فيها عن المعنى المراد ، حسبما ارى ، وها انذا اقدمها فيما يلي مؤكدا على انها اشبه بقطرة في بحر زاخر ، ولا تقلل من قيمة الكتاب على اي حـــال !

١ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ٤٧ :

ما بيدي الحين غير الطلب باجي لك

وقد فسر ( باجي لك ) بقوله ( أجي لك ) والذي اراه ، انه يريد ان يقول ( باقي لك !! ).

٢ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ٦٤ :

كوطر وخزنن جروح اضمايري ونعاي

وفسر ( اضمايري ) بكلمة ( رضي ) في حين انه اراد بهـــا ( احشائي ) .

٣ ـ جاء في الموال المنشور بالصفحة ١٠٨ :

نيران وجد الزمان ابضامري تجره

وفسر كلمة ( تجره ) بكلمة ( تمتد ) والذي اراه انه يريد انها ( موجرة ) اي مشتعلة وبهذا المعنى يستقيم الشطر .

٤ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ١١٦ :

ما جنت زارع معاك اخضر وشكاره !

وفسر الاخضر ، بجمع ( خضرة ) وقال ( انها مساحة الارض التي تزرع بالخضروات ) وفسر ( اشكارة ) بقطعة الارض !

اما الذي اراه ، فان الناظم يريد ان يقول لصاحبه ، اني لست شريكك في زرع ، كما ليس لك معي في زرعي حصة ، وهـــي ( شكارة ) !!

٥ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ١١٨ :

ما لـوم كلبي عليـه الحـادثات انقضـن !

وفسر كلمة ( انقضن ) بقوله ( قضت عليه ) والذي اراه ان المقصود بها ( انقضضن عليه ) .

٦ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ١١٩ :

وانجان ناجر تلافي بالهـوى ، باري !

وفسر كلمة ( باري ) بقوله ( على الاقل ) والذي اراه يقصد بهـا ( ارع ) او ( اعطف ) او ( سامح ) .

٧ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ١٧٢ :

دمع البده مـن صدودك ما يشـابه جـود

وفسر كلمة ( البده ) بقوله ( الذي بدا ) والذي اراه انــه يقصد الدمع الذي ( تبده ) اي انسكب انسكاب ماء الجود !

٨ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ١٩٨ :

لين فرط الحسـن زفت وخاطبها :

وقال ( من الزفاف والخطبة ) وهذا غير صحيح ، اذ لا تكـون الزفـة قبـل الخطبة . والذي اراه انه يريد ان يقول ( لما قدمـت ( زفت ) فارطة الحسن خاطبها قائلا )

٩ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ٢٠٣ :

يا من بنار الهوى لضمايري سالي

وفسر ( سالي ) بكلمة ( احرق ) والذي اراه انه يقصد بهـــا كلمة ( مذيب ) .

١٠ ـ جاء في الموال المنشور في الصفحة ٢١٦ :

يرون عطشهن وانا بس ازتهن ورد !

وفسر كلمة ( ازتهن ) بكلمة ( ارميهن ) وهذا غير صحيح بـــل معنى ( ازتهن ) اوصلهن الى مكانهن .

واخيرا لا بد لي من تقدير الاستاذ المحقق ثانية على هذا العمـل النافع ، وشكرا لوزارة الاعلام العراقية على اخراجها هذا الكتـاب الذي اصبح في مقدمة المراجع الهامة لدراسة هذا الفن من فنـــون الادب الشعبي ليس في العراق فحسب بل في الوطن العربي الكبير .

بغـداد — عبد الرزاق الهلالي

•

## فخري ابو السعود ـ حياته وشعره

تـأليف عبد العليـم القبـاني ـ ١٢٨ صفحة ـ مطـابع الهيئة المصريـةالعامـة للكتاب ـ القاهرة

صدر بالقاهرة منذ عهد قريب ، هذا الموجز القيم ، من كتب التراجم والنقد الادبي ، لصديقنا الشاعر الباحث عبد العليم القباني ـ الذي توفر في السنوات الاخيرة على الكتابة عن شعراء الاسكندرية العرب من القدماء والمحدثين الى جانب اقباله على نظم الشعر المكين .. وظهـر له في هذا الباب النقدي عدد من المؤلفات ، ولم يزل يعد للطبع غيرها مـن المخطوطـات ..

وفي هذا المؤلف الجديد صور الكاتب حياة الاديب الراحـــل « فخري ابو السعود » من شعراء العربية وكتابها الذين نبغـوا فـي الثلاثينيات من هذا القرن ، ولم يطل به العمر لمتابعة طريقه ، وبلـوغ هدفه ، اذ اختزل حياته بيده يوم ٢١ من اكتوبر عام ١٩٤٠ وهو في الثلاثين من عمره ..

ومع ذلك فقد ترك هذا الشهاب القصير الاجل وراءه ادبـــا ساطعا يتمثل في ديوان من الشعر الوجداني والقومي والوصفي ،نشر قصائده تباعا في الصحف والمجلات خلال سنيه الاخيرة ، وضمنها مبادئه وآراءه في الحرية والعدالة ، وفي الحرب والسلام ، وفـي الشعر والادب ، والحب والمرأة ، والحياة والموت ـ وكلها آراء تتسم بالسداد والحكمة ـ ولم تجمع اشتات هذا الديوان بعد ... وكتـاب عن « الثورة العرابية » طبع عام ١٩٣٤ وترجمة لرواية توماس هاردي : « تسي ، سليلة دربرفيل » نشرت عام ١٩٣٨ وبها توطئة عن حيـــاة هاردي وادبه .. وله كتابان نال عنهما جائزة في مسابقة وزارة التعليم عام ١٩٣٩ احدهما عن « الخلافة السياسية » والاخر عن « الشاعـر محمود سامي البارودي » ولم يطبعا الى الان .. كما انه نشر مقالات ودراسات شتى في مجلات : الرسالة ، والثقافة ، والمقتطف،والهلال، وصحيفة الاهرام .. وغيرها .. واكثرها مقالات نقدية في الشعـــر العربي ، وفي الادبين العربي والانجليزي ، وبعضها فـي السياسة العالمية .. ولم تجمع هذه المقالات ايضا في مجلد او اكثر ، وكـان لاحتجاب هذه الآثار عن انظار القراء والنقاد ان توارى اسم شاعرنـــا في ضباب الزمن ، وجدير بنا ان نخرج ديوانه ومؤلفاته الى النـور بعد ان توارت نيف وثلاثين سنة ..

وقد قسم الاستاذ القباني كتابه هذا الى اربعة فصول ، الاول : « مع الشاعر في مأساته » لخص فيه قصة الشاعر الفقيد حتى ساعة انتحاره وذكر الاسباب التي دفعته الى هذه الخاتمة الاليمة .. ووضع للفصل الثاني هذه العناوين : ثائر بلا جدوى ، وحواء والشاعـر ، والشاعر الوصاف ، وهنا يعرض نماذج من قصائده الوطنية الفائضة بالمشاعر الملتهبة التي اثارتها قضايا بلاده السياسية ، ومطـالبهـــا التحريرية ،وازماتها القومية في عصره ، ويشرح المناسبات السياسية التي نظمت فيها تلك القصائد .. ثم خرج من ذلك الى ان شـاعرنـا « كان في شعره معبرا عن احاسيسه ، وان القارىء قد الم المامـا كافيا باتجاه فخري السياسي ، وقدر كبه ايمانه بوطنه واخلاصه له ، وتفانيه في حبه .. » ثم اشار الى نظرته الشعرية التي شملت العالم

والانسانية ايام اشتعال الحرب العالمية الثانية ، كما تبدو في قصيدتيه : « الحرب » و « عصبة الامم » .. ونظرته الى حرية الشعوب التي يجب ان تقوم قبل كل شيء على قاعدة من العدالة الاجتماعية بين الناس .. « وكان الشاعر على حق في هذا الشعور المرير نحو هذه الحرب التي ما زالت البشرية تعاني من آثارها الى الان ، والتي كان الشاعر نفسه من اوائل ضحاياها » ..

وتحدث المؤلف في سياق تحليله لشعر « فخري ابو السعود » الوجداني والذاتي ، عن المرأة في حياته ـ اما وزوجة وصديقة ـ ثم استخلص من قصائده ومقالاته نظرته العامة الى المرأة والجمال ، فهو يعارض نظرة الشعراء الحسية اليها وياخذ على بعض الشعراء اهتمامهم المفرط بعرض المفاتن الجسدية لها ، وهو يساوي بين جمال الطبيعة والجمال الانساني من حيث النظرة العامة لهما ، ووجوب ان تكون النظرة اليهما نظرة افتتان لا اشتهاء .. « الجمال هو مادة الفن ، والتأثر به هو وحي الاديب ، والتعبير عنه هو رسالة الادب ، سيان جمال الطبيعة او الجمال الانساني ، واصدق معيار لرقي الادب وحيويته هو حسن تعبيره عن الفتنة بهذين الضربين .. » ـ واورد القباني ابياتا من قصائد الشاعر تصور آراءه .

وعن الشاعر الوصاف يتفق المؤلف مع الاستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه : « اعلام من الشرق والغرب » اذ يقول عن زميله الشاعر « فخري ابو السعود » انه كان رساما وصافا شاعرا ، فقد كان الشاعر رساما مصورا في وصفه حقا ، يخيل اليك اذا انت قرأت قصيدة من شعره الوصفي ، انك امام صورة حية ، تحس وتشعر وتتحرك ، حتى ولو كانت هذه الصورة لجماد لا يحس ولا يشعر ولا يتحرك ـ كما نرى في قصيدة له يصف فيها تمثالا لاعمى ، او قصيدته « السكك الحديدية تحت الارض » .

اما الفصل الثالث والرابع ويشملان الثلث الاخير من الكتاب، فقد ضمنهما مختارات من شعره ـ خمس عشرة قصيدة ـ منها . «يوم التل» ـ ( موقعة التل الكبير بين العرابيين والانجليز)» وحصن طارق، وهذه الارض، والسجينة ، والموت ، والشمس ، والجمجمة ، والسفينة ، وفي الخريف ( من وصف الطبيعة في انجلترة ) ..وهذه القصائد المنشورة في المجلات شطر من ديوان « فخري ابو السعود » المنتظر جمعه وطبعه .. اما الفصل الرابع الاخير فيه مقتطفات من مقالاته النثرية مما يوضح وجهة نظره في الادب والحياة ، والتي نرجو ان تجمع وتنشر ايضا كاملة في القريب ..

وكان فخري ابو السعود قد نشأ في اسرة طيبة من مدينة بنها ، وعاش صباه في القاهرة ، وبعد ان اتم تعليمه الثانوي ، التحق بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وتخرج فيها عام ١٩٣١ ثم ارسل في بعثة الى « اكستر » بانجلتره عام ١٩٣٢ وعاد منها في خريف ١٩٣٤ وتزوج هناك من زميلة انجليزية وانجب منها طفله الوحيد .. ثم عين مدرسا بالمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية حين كان الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري ناظرا لها وتاثر بشعره .. ثم نقل الى مدرسة الرمل الثانوية وعاش مع اسرته سعيدا حتى عام ١٩٣٩ حين سافرت زوجته وابنها لزيارة اهلها بانجلترا ، ولكن قيام الحرب العالمية حالت دون عودتهما . ثم مات ابنه في حادث غرق سفينة الاطفال الانجليزية الذاهبة الى كندا ، وانقطعت اخبار زوجته ... واستبدت بشاعرنا نوبة من الياس والتشاؤم ، ولم تكن نفسه الشديدة الحساسية المنطوية على مزيج من الملل والاكتئاب والسوداوية لتصمد ازاء هذه الصدمات الجديدة ، فاطلق النار على رأسه من مسدسه بحديقة داره صبيحة ذلك اليوم ( ٢١ من اكتوبر ١٩٤٠ )

ولما كان معظم انتاج «فخري ابو السعود » الشعري والنثري بالاسكندرية فقد عده المؤلف من شعراء هذه المدينة ، وكذلك عددناه من شعرائها بكتابنا « شعراء من الاسكندرية » ـ ١٩٦٩ ـ في فصل مجمل عقدناه عنه .

الاسكندرية

**نقولا يوسف**

•

## نـداء الشـوق

مجموعة قصصية تاليف وحيد الدين بهاء الدين ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة التضامن ـ بغداد

ينعم الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين بوفرة الاستقراء والملاحظة في المناحي الادبية . واخر مؤلفاته ـ وهي كثيرة « نداء الشوق » وهو مجموعة قصصية .

واذا كانت القصة وسيلة التثقيف .. حيث تكشف عن طبيعة الناس والمجتمع على نطاق واسع .. فهنا يتحتم على القصاص الناضج القادر على ممارسة هذا الفن ان يكون ذا اسلوب جذاب مليء بالقدرة ليصف لنا الاحاسيس والانفعالات التي يعيشها شخوص قصصه .

ان فروع الحياة المتداخلة والمتشابكة والتغيرات الدائمة تتطلب المكنة والانسراب في ثنايا تلك الربوع .. ولقد كان المؤلف جديرا وقديرا على ممارسة قدرته في اسلوب الكشف . لقد كان اسلوبه ناصعا وقادرا وشفيفا .. انه على مستوى جيد من تلك الممارسة حيث وضع الخطوط العريضة في سبك موضوعه ، وتخيل شخصياته ... وقد نسج حولهم الظروف المناسبة المختلفة .. وقد كانت القصة الجيدة وسيلة فعالة التأثير . حيث اهتمت بعكس صور الناس والاعمال في دائرة معينة وظروف معينة كذلك اهتمت بالبيئة والطبقة والثقافة وكل ما يحيط بالناس والمجتمع والطبقة البشرية ..

انك تستطيع ان تتعرف على كل شيء ، خلال الحياة ، وعبر الاحداث من خلال القصة ..

واذا كانت مجموعة « نداء الشوق » نمطا قصصيا قادرا على فرز المسائل الهامة من سلوكية وجنس وتضحية وعادات ، فقد كان اغلبها تحليلا لكل الحوافز والدوافع .. والقصة ليست الا صورة حميمة للمجتمع الذي نعيش فيه ..

جاءت قصة « نداء الشوق » التي حملت اسم المجموعة على غاية من الدقة والبراعة حيث عالجت الجنس ، كقضية ومشكلة تواجه المجتمع .. انها صرخة في وجه النزوة الطارئة والنزق الطائش . لقد كان التسلسل النفسي يتدرج بشكل بارع ماتع يشدك شدا وثيقا ..

لقد كان الوقوع في الهاوية امرا ما منه بد .. ولكن براعة المؤلف وتحديد موقفه من هذه المشكلة قد ترفع بالبطلة ونزع بها نحو العفة والثبات والعصمة ، وهنا يبدو المؤلف واضحا .

ان اسمى هدف في ادب القصة ـ في اعتقادي ـ هو الكشف عن دواخل الانسانية وطرحها على القارىء باسلوب اخاذ رشيق يدخل فيك مسارب وافاقا يعتمل فيها رهق الحنو ونزيف الخوف والغريزة الخفية وكدر الصراع مع الحياة والمغالبة والمجالدة من اجل البقاء والخير .. وهاجس الهروب والاستطلاع ... كل هذه العوامل تخضع ـ عند المؤلف ـ لعواصف الاقدار القاسية . انها حتمية تحرك شخوص « الندم » و « النفساء » وكانها موقوفة على سبل الاقدار التي تثنيهم على ضرائها وتعرقهم عرق المدى .. انهم اغصان طرية رطبة يذويها نفاد وثوى .. انها قصص تعكس المرارة من خلال التناقض الاليم .. انها قسمة ونصيب ص ١٩ ، ورغم ما تضفيه قصة « الزواج المنشود » من لون براق من التفاؤل والبحث عن الراحة والاطمئنان من خلال التوافق والانسجام نحس ـ وبطرف خفي ـ دوافع اكيدة للاقدار حيث نسمع رد الاب بان :

ـ الرضوخ للامر الواقع اجدى السبل ..

ان وحيد الدين بهاء الدين مصور بارع يصل الهدف بتدرج شيق وتساوق رتيب والمية قادرة . انه اراد ان يتحدث ففنى ... وتلك غاية الموهبة وقصارى الابداع ولا غرابة في ذلك فوحيد يمتلك ناحية الاصالة في عمق الاسلوب وتوفره عليه وحيازة على اغلبجوانبه. نكهة شفيفة عباقة تدل على قدرة عالية .. مشحونة برشاقة الصياغة ونصاعة شفافة بليغة .

ويتضح هذا جليا في قصة « الندم » حيث يحس القارىء ـ وبادراك ـ انها صورة حية بين الصفاء النفسي واضطراب الندم اضطرابا بينا خلال خمس ساعات .. تتعرف على فتاة ياكلها الندم ، لانها مثقفة باعت نفسها لبريق المنصب ، ثم احست انها فريسة الندم ..

ـ لا فائدة من الندم .

ومنذ ان « دقت الساعة عشرا» «حتى دقت الساعة ثلاثا » بعد الظهر ، انتهى كل شيء ...

ـ انها قسمة ونصيب .. ولكن !!

ان ابواب الحياة مفتوحة لمن يريدها .

وهنا يبدو ان القصة ـ في الفن الادبي ـ انجح المحاور تعبيرا عن الحياة وواقعها . شريطة ان تتوافر لها عوامل الدقة في التصوير والصدق في التعبير .. ان في قدرتها ـ القصة ـ ان تمتلك على القارىء كل اهتمامه ، وذلك بانها تنقل له صورا كاملة وصادقة عن الحياة والناس بالحبكة الجيدة والافكار التي تطرحها عن مواقف الاشخاص ..

وتتجلى قدرة المؤلف وتشمخ في « الوادي الكبير » حيث ظهرت الحوافز الانسانية ونهض الجوع الجنسي .. الانفعال والبحث عن رغبة طالما كانت لها دوافع تشد الانسان اليها .. وقد اكد المؤلف قدرته الادبية الخلاقة في الكشف عن طوايا النفس من نفور واشمئزاز ... عن العجز والاستخذاء والركون الى الفشل .. عن غريزة الجنس : الشهوة الجنسية .. عن الاستكانة والشعور بالنقص .. عن السيطرة والزهو .. عن حب التملك .. عن الشعور بالوحدة والالم ..

ان التراكيب الانسانية التي انسحبت على شخوص « الوادي الكبير » كان عملا ادبيا بارعا نم عن قدرة الكاتب على تحريك تلك الشخوص وتكديس الشخصيات ، وما يعتورها من افكار وما كانت لها من مواقف في اتجاهات مختلفة ..

وهنا يحق لنا القول بان وحيد الدين بهاء الدين كان على سعة من القدرة والمعرفة والخلق والموهبة في تركيب دفء الكلمة المخصاب وزهو الجملة الساطعة وتدفق ضاف من النبرة المفردة المطراب ... انه يقد من مقلع متميز .. وينهل من ينبوع فياض .. ان رفيفا من الايمان يتداح في يراعته مسربلا بدفقة الجمال ، محملا بالحب .. ساطعا بالخير والحق .

ان مستقبلا باهرا وهاجا ينتظر وحيدا ، كما ينتظر الربيع شموخ الشمس ، لتنضج ترانيم الخضرة وتنهض اقانيم البقاء .

بغداد ـ السعدون محي ابو حمرة

•

## سيرة ابن سينا

**The Life of Ibn Sina. A Critical Edition and Annotated Translation by William E. GOHLMAN. Albany, N. Y. State University of New York Press, 1974. In-octavo, pp. (viii) 163.**

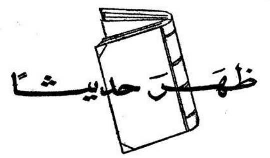
سيرة الرئيس الشيخ علي بن سينا . دراسة نقدية منهجية مع ترجمة دقيقة مخدومة بالشروح ، تأليف الدكتور غوهلمان . مدينة البني ولاية نيويورك ، دار النشر الجامعيين ١٩٧٤ ، ص ٨ + ١٦٣ من قطع الثمن

صاحب هذه الدراسة العلمية المنهجية هو الدكتور وليم غوهلمان وارفقها بنصوص عربية ترجمها ترجمة دقيقة الى الانكليزية وقدمها بالشروح والفهارس . وقدم لبحثه هذا بثلاث مقدمات مستفيضة تناول في الاولى منها وضع الدراسة العلمية الخاصة بالشيخ ابن سينا لدى مباشرته دراسته المنهجية ، وساق الثانية منها حول المنهج الذي نهجه في عملية الترجمة ، اما الثالثة فقد ادارها على الطبعات التي ظهرت للان لآثار ابن سينا كما وصف كل المخططات التي تضمنت ترجمة حياته . ولذا نراه يستشهد مثلا بابن ابي أصيبعة والاضافات التي اضافها ابو عبيد الجرجاني . فلم يفته ، على ما نرى ، شيء مما يتصل بالنصوص التيعالجها . وهكذا نراه يمدنا بثبت كامل المصادر والمراجع المنشورة والمخطوطة كابن القفطي وابن الفندق وغيرهما ... وقد ذكر في حواشي الكتاب ، الفروق والاختلافات القائمة مختلف النسخ .

واعقب بحثه التدقيق في سيرة الشيخ ابن سينا بذكر كل النصوص العربية مترجمة الى الانكليزية وهو فهرس مؤلفات ابن سينا وعلق عليها تعليقات دقيقة مفيدة للغاية ، وختم بحثه بفهرس الاعلام الواردة في الكتاب مما يسهل تناوله والاخذ به .

وهكذا نرى الدكتور غوهلمان يؤدي خدمة كبيرة للعلم خدمة جلى واضاف الى دراسات ابن سينا اضواء كاشفة تساعد الباحثين على دراسة هذا الفيلسوف الكبير ، فاعطى بذلك فكرة صحيحة للمعضلات التي تعترض المستشرقين في ابحاثهم العلمية ، بعد ان امدنا بدراسة منهجية نموذجية ندعو الباحثين لنهجها والسير عليها واحتذائها وبذلك فتح امامنا ابوابا ملوكية لغير الاختصاصيين .

م.ب دونكاليا




● رحلة الى الشمس ـ قصة طويلة ـ تاليف علي المغربي ـ ١٤٢ صفحة ـ منشورات دار لوران للطباعة والنشر بالاسكندرية ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الخروج من كهف الرماد ـ شعر احمد دوغان ومضر سخيطة ومصطفى النجار ـ تقديم عبد الله الطنطاوي ـ مصمم الغلاف مامون شعار ـ ٦٤ صفحة ـ ( صدر في حلب ) ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )

● عادل الاعور يفتح النار على : ـ تاليف عادل الاعور ـ ٥٦ صفحة ـ ( صدر في بيروت ) ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الموجز لما اضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به ، تاليف الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ـ تقديم عبد الله الجبوري ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● الشاعر الصحفي ومأساة حياته ، تاليف الدكتور محسن جمال الدين ـ ١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مستل من العدد السابع والثامن من السنة الرابعة من مجلة البلاغ ـ مطبوعات الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● حنا ابي راشد في مراحل حياته الصحافية ١٨٨٦ / ١٩٧٤ ـ ٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ جريدة الدولة المثالية الحازمية لبنان ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● المنقولات العشر ـ تاليف العلامة الشيخ محمد الحسني البليدي ـ صححه وقدم له الدكتور ممدوح حقي ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط المغرب ـ مطبعة فضالة بالرباط .

● ديوان صيدح ـ الجزء الثاني : آفاق واشواق ومعها ارماق ـ طبعة جديدة ـ ٢٨٠ صفحة ـ طبع في دار غندور ( بيروت ) .

● نفاق اليهود ـ لمؤلفه بالالمانية الدكتور مارتن لوثر ـ نقله الى العربية عجاج نويهض ـ قدم له شفيق الحوت ـ ١٧٤ صفحة ـ منشورات دار الفكر ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● دير الزور حاضرة وادي الفرات في كتابات كتاب عرب واجانب ـ تاليف عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها ـ ٦٧ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٣ في سلسلة وثائق تاريخية عن وادي الفرات ، ( لم يذكر اسم المطبعة ) ـ ( صدر في دير الزور بسورية ) .

● نسف الاضاليل مرحلة اساسية في ازالة اسرائيل ـ دراسة كاشفة ودعوة لعمل رسالي مسؤول واعلامي واضح ـ تاليف انيس فاخوري ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار الفن ببيروت .

● وداعا ايها الليل الطويل ـ مجموعة شعرية ـ عبد الله محمد الطائي ـ تقديم عبد المنني الخطيب ـ ١٢٨ صفحة ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) ـ ( طبع في بيروت ) .

● حكاية اول نوار في العالم وفي لبنان : ذكريات وتاريخ ونصوص ـ تاليف يوسف ابراهيم يزبك ـ ١٤٤ صفحة ـ مع ملحق وثائق ومستندات مصورة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفارابي ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● صور زجلية من سوق عكاظ ـ تقديم جريدة السفير ـ الغلاف لمحمد فخر الدين ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) ( صدر في الاسكندرية ) .

● الرد الوافر للامام ابن ناصر الدين الدمشقي ـ تحقيق زهير الشاويش ـ ٢٣٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتب الاسلامي في دمشق وبيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● شعراء من اميركا الجنوبية ـ تاليف سعدصائب ـ ١٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة مطبعة الجمهورية ببغداد .

● رقصات الخريف ـ ديوان شعر ـ يوسف امين قصير ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● وداعا يا حب ـ مجموعة قصص ـ تاليف عبد العزيز الشناوي ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات اصدقاء الكتاب ـ مكتبة ومطبعة المحبة في المنصورة بمصر .

● ديوان ابن عنين ـ تحقيق خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية سابقا ١٨٩٥/١٩٥٩ ـ طبعة ثانية تمتاز بزيادات بخط المحقق ـ ٢٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار صادر ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● غربة شاعر ـ شعر ـ احمد ابو المجد عيسى ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة .

● الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور ـ عني بتحقيقها والتعليق عليها كوركيس عواد وميخائيل عواد وجليل العطية ـ ٢٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة سلسلة كتب التراث رقم ٢٩ ـ دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة ببغداد .

● مهد البطولات ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ ٩٦ صفحة ـ سلسلة قصص من التاريخ رقم ٦ ـ دار الكتاب ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) ـ ( صدر في دمشق ) .

● المراة العربية الى اين ؟؟ ـ تاليف ثريا ملحس ـ ١٦ صفحة ـ خطاب الاحتفال السنوي الذي القي في مدرسة بيروت الانجيلية للبنات في ١٥ حزيران ١٩٧٤ ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الغزو الفكري في العالم العربي ـ تاليف عبد الله عبد الجبار ـ ٩٦ صفحة ـ سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ١٢ ـ شركة مطابع الجزيرة المحدودة بالرياض .

● طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ـ محررها هو الرحالة ك ـ تقديم الدكتور عبد الرحمن الكواكبي ـ طبعة ثانية ـ ١٦٠ صفحة حجم كبير ـ الناشر رياض كيالي بدمشق ، عنيت بطبعه واخراجه دار القرآن الكريم ببيروت .

● حديقة حب ـ مجموعة وجدانية ـ تاليف رياض حنين ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار المكشوف ـ مطابع « الجبل » في درعون حريصا ـ بلبنان .

● السياسة المرحلية في دعوة الرسول العربي وبناء الدولة الاسلامية ـ تاليف بشير العوف ـ الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ـ ٢١٦ صفحة ـ طبع باشراف دار الفتح ببيروت .

● مخطوطات كربلاء ـ تاليف سلمان هادي الطعمة ـ تقديم كوركيس عواد ـ الجزء الاول ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية على نشره ـ مطبعة الاداب في النجف الاشرف بالعراق .

● جند الكرامة ـ مسرحية شعرية ـ تاليف مصطفى عكرمة ـ تصدير حامد حسن ـ ٦٢ صفحة ـ مطبعة العلم ـ ( صدرت في دمشق ) .

● حكاية من المدينة القديمة ـ قصص قصيرة ـ تاليف غانم الدباغ ـ ١٤٤ صفحة ـ ساعدت وزارة الاعلام على طبعه ـ مطبعة الغري الحديثة ـ ( صدر في العراق ) .

● العرب والقوات الاجنبية ـ تاليف محمد سعيد مسعود ـ تقديم جامع الكتاب عبد الله بري ـ ١٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الرائد العربي ببيروت ـ مطبعة المتني بفرن الشباك بيروت .